الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne démocratique et populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
Université Abdelhamid Ibn Badis- MOSTAGANEM
كلية الأدب العربي والفنون
Faculté de Littérature Arabe et des Arts
قسم الفنون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفنون البصرية

تخصص : نقد الفنون التشكيلية

اسهامات الفن التشكيلي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي

من اعداد الطالبة :

بن عجمية أمينة

تحت اشراف :

أ.د.قجال

لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ(ة)	الرتبة العلمية	الصفة في اللجنة
بن عدة الحاج محمد	أستاذ محاضر "ب"	رئيساً
نادية قجال	أستاذة التعليم العالي	مشرفا ومقرّراً
غفور كمال	أستاذ مساعد. أ	عضوا مناقشاً

السنة الجامعية: 2025-2024

Scanné avec CamScanner

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne démocratique et populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
Université Abdelhamid Ibn Badis- MOSTAGANEM
كلية الأدب العربي والفنون
Faculté de Littérature Arabe et des Arts
FLAA
UNIVERSITE Abdelhamid Ibn Badis MOSTAGANEM

قسم الفنون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفنون البصرية

تخصص : نقد الفنون التشكيلية

اسهامات الفن التشكيلي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي

من اعداد الطالبة :

بن عجمية أمينة

تحت اشراف :

أد.قجـــــال نادية

لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستـاذ(ة)	الرتبة العلميـة	الصفة في اللجنة
بن عدة الحاج محمد	أستاذ محاضر "ب"	رئيساً
نادية قجال	أستاذة التعليم العالي	مشرفا ومقرّراً
غفور كمال	أستاذ مساعد. أ	عضوا مناقشاً

السنة الجامعية: 2024-2025

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

"وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين "

الحمد لله عند البدء وعند الختام .

بعد السجود لله على نعمه التي لا تحصى الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الذي وفقني في اتمام هذا العمل

اهدي ثمرة جهدي الى والدي الكريمين حفظهما الله وامد بعمرهما والبسهما لباس الصحة والعافية .

الى كل من علمني حرفا طيلة مساري الدراسي ولم يبخل بعطائه اساتذتي الافاضل كل باسمه ومقامه.

الى كل الاخوة والاقارب والاصدقاء

الى كل صديق عبر بصدق بموقف اصيل او كلمة مساندة

الى من كان حضوره طمأنينة في زحمة الايام ،وظله رفيقا في صمت اللحظات .

اليكم جميعا ،اهدي هذا العمل عرفانا وامتنانا فلكم الفضل بعد الله فيما وصلت اليه .

أمينة

شكر وتقدير

ان الحمد لله نحمده وستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ،من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان سيدنا محمدا عبده ورسوله

والشكر بعد الله ورسوله للوالدين الكريمين طاعة وإحسانا وحبا وعرفانا على أضالهما التي لا تفيها الكلمات حقا ، قدرني الله على برهما

أما بعد:

ان الاعتراف لأهل الفضل وشكرهم واجب ،لذا اتقدم بجزيل الشكر للأستاذة الفاضلة البروفيسورة قجال نادية التي أشرفت على هذا العمل ولم تبخل علي بتوجيهاتها السديدة ونصائحها القيمة ، فلها أجمل معاني التقدير و المودة والعرفان ،

والشكر موصول لكل أساتذتي الكرام على ما بذلوه من جهد وحسن توجيه

واشكر عائلتي التي احاطتني بالحب والاهتمام ،واخص بالذكر اخوالي الاحبة ،الذين كانت كل بسمة منهم دعما خفيا ،وكل حضور دفئا يبعث على الاستمرار .

كما لا يفوتني ان اعبر عن امتناني لصديقاتي ورفيقات الدرب ،اللواتي كنّ السند بالكلمة والتشجيع.

وأشكر كل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد ولو بالكلمة الطيبة التي تجبر الخواطر، وإن الله لا يضيع اجر المحسنين .

أمينة

الفهرس

	العنوان	الصفحة
	مقدمـــة	**أ-ب-ج-د**
	الفصـــل الاول :الاستعمار الفرنسي للجزائر.	2 -26
	المبحث الاول :استعمار ديني صليبي.	**6-3**
	المبحث الثاني :استعمار سياسي اقتصادي.	**12-7**
	المبحث الثالث :استعمار ثقافي.	**20-13**
	المبحث الرابع :اسهامات الفنان الفرنسي في الاستعمار.	**26-21**
	الفصـــل الثانـــي :الفن التشكيلي والمقاومة	**28**
	المبحث الاول:اسهامات الفن التشكيلي في التصدي للمزاعم الاستعمارية.	**31-29**
	المبحث الثاني :نماذج من الفن التجريدي .	**36-32**
	المبحث الثالث :نماذج من الفن التعبيري .	**42-37**
	المبحث الرابع : نماذج من الفن التصغيري المنمنمات .	**48-43**
	الخاتمـــة	
	قائمة المصادر والمراجع	

مقدمـــة

ان تـاريخ الفن تمتد جذوره منذ القدم (العصـر الحجري) ،وهذا لارتباطـه الوثيـق بالإنسـان ودوره الاساسـي فـي حياتـه ،اعتبـر الفن ولا يـزال المرآة العاكسـة لحيـاة الشـعوب وحضـاراتها ،فـالفن اتخـذه الانسان القديم كوسيلة لإثبات وجوده والتعريف بممارساته وتقاليده وكذا التعبير عن قضياه للأجيال القادمة .

ان الحضـارات التـي فرضـت وجودهـا فـي العـالم هـي التـي اولـت اهتمامـا بـالفن والجمـال وبهـا ارتقت بأفرادها الـى أعلـى المراتب وأيقظت لديهم روح الابداع ووسعت افاق فكرهم، ان الفنون لها اهمية ثقافية وحضارية امتدت على ممر العصور البشرية كونها مجموع لخبرات انسانية تمثلت في الاشكال والرموز الموجودة على جدران الكهوف والصخور .

لابـد مـن ان أهميـة الفن تكمـن فـي قدرتـه علـى توثيـق التـاريخ وفـي هـذا الحـديث نجـد الفن التشكيلي الجزائري ابلـغ مثـال عـن ذلـك ، حيـث انـه كـان اداة معبـرة عـن الهويـة ووسيلة لترسيخ الوجـود والتـأريخ لامـة اسـلامية تعرضـت لاستعمار مـوحش حـاول طمـس معالمهـا والقضـاء علـى كيانها .

من اشد الفترات التـي عاشتها الجزائر بين عـامي 1830الـى1962هـي الاستعمار الفرنسـي الـذي كان عبارة عن حملة خطيرة سارت وفق خطط منظمة ضربت المجتمع في الصميم لأنها استهدفت القيم الاخلاقية والدينية والثقافية ،و للوصول الـى مبتغاها انتهجت استراتيجيات عديدة فـي مختلف المجالات .

منذ عقود مضت عرف الجهاد في سبيل الحق والمقاومة من اجل البقاء ونيل الحرية وسادت فكرة التشبث بالوطن وطرح قضاياه لدى الشعوب المستعمرة ،وكما قال احد ثوار الجزائر **العربـي بن مهيدي** ذات مرة "القوا بالثورة للشارع يحتضنها الشعب " بالفعل قد ظهر رجال ونساء وضعوا علـى عاتقهم مهمـة الدفاع عن الوطن وتوثيق الواقـع المر المعاش وكذا التعريف بأبطـال الجزائر الذين كرسوا حياتهم لإعلاء كلمة الحق ورفع راية الحرية في سماء بلادهم ،لم تكن هذه المقاومة بالسلاح و التوثيق بالقلم فقط بل بالريشة ايضا .

مع الوقت ادرك الفنانون الجزائريون ان فنهم ليس فقط لأغراض جمالية ، ولم يكن بعيدا عن هذا الصراع بل له صدى اكبر ودور في رفض السيطرة الاستعمارية ليصبح وسيلة من وسائل الكفاح يعبر من خلالها عن معاناة ابناء وطنه وتشكيل الوعي لديهم بعدم الخضوع للواقع المعاش من هنا جاءت فكرة طرح هذا الموضوع "**اسهامات الفن التشكيلي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي** "،واختيارنا لهذا الموضوع يقينا بان الفن لا ينفصل عن الثورة بل يمثل صوتها الصادق والتعبير النزيه لها .

وعليه نطرح السؤال الاتي : **كيف ساهم الفن التشكيلي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي ؟**

انطلاقا من هذه الاشكالية تتشكل لدينا اسئلة فرعية :

1. ماهي استراتيجيات المستعمر لفرض سيطرته على الجزائر ؟
2. ما هو دور الفنان الفرنسي في الاستعمار ؟
3. من هم الفنانين الذين قاوموا بأعمالهم الاستعمار ؟وبما تميزت هذه الاعمال؟
4. كيف ساهم الفن التشكيلي في دعم الثورة ؟

من هنا نطرح الفرضيات التالية :

الفرضية الاولى : كان الفن التشكيلي الجزائري سلاحا فعالا للمقاومة الثقافية والتعبير عن الهوية

الفرضية الثانية: حرص الفنان الجزائري على توظيف رموز وأشكال خاصة مميزة رافضا للاستعمار دالا على ان النصر قريب وان الجزائر ستبقى لاهلها .

الفرضية الثالثة: ربما ساعدت اللوحات الفنية على تشكيل الوعي لدى الجماهير والحفاظ على تراث الجزائر.

ان **الهدف** من دراسة هذا الموضوع وبالدرجة الاولى هو تسليط الضوء على الفن التشكيلي وما له من دور كبير في مساندة الثورة التحريرية فهو لا يقل اهمية عن الدفاع بالسلاح او القلم كونه مثل

الجانب الثقافي الذي كان اخطر واستمرت تأثيراته حتى بعد الاستقلال والذي استهدفه المستعمر بشكل واضح لتحطيم المجتمع الجزائري وضرب قيمه واصالته محاولا طمس الهوية .

التعرف على اهم فناني الثورة وتحليل الاعمال لاكتشاف اهم الرموز والدلالات التي استخدموها للتعبير عن قضية وطنهم وكذا كيفية المساهمة في التوعية والتأريخ للثورة والحفاظ على الهوية .

التأكيد على اهمية الفنون في نهضة المجتمعات والحفاظ على اصالتها .

للموضوع **أهمية كبيرة شملت عدت جوانب:**

- أهمية تاريخية حيث تطرقنا الى فترة الاستعمار وسياساته و طرق المقاومة آنذاك .
- اهمية فنية تعرفنا من خلالها على مجموعة من الفنانين الذين قاوموا الاستعمار وكذا اكتشاف رسائلهم المبطنة آنذاك .
- اهمية ثقافية تعرفنا من خلالها على كيفية الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري المسلم في ضل السياسة القاسية جراء محاولة القضاء على معالمها وهويتها .
- ولدافع ذاتي رغبة في الربط بين الفن والثورة واثبات اهمية الفن في الحياة الانسانية .

اعتمدنا على المنهج التاريخي سياسة المستعمر وآثارها وكيفية تطور الفن التشكيلي الجزائري وتجاوزه العقبات والحصار الذي فرض بالإضافة الى المنهج التحليلي لتحليل نماذج فنية.

تم تقسيم بحثنا الى فصلين للوصول الى اجابة على اشكاليتنا المطروحة: **الفصل الاول** بعنوان الاستعمار الفرنسي للجزائر قسم الى اربع مباحث

المبحث الاول :استعمار ديني صليبي.

المبحث الثاني: استعمار سياسي اقتصادي.

المبحث الثالث: استعمار ثقافي.

المبحث الرابع :اسهامات الفنان الفرنسي في الاستعمار.

اما الفصل الثاني يتحدث عن الفن التشكيلي والمقاومة ومقسم الى اربع مباحث

المبحث الاول :اسهامات الفن التشكيلي في التصدي للمزاعم الاستعمارية.

المبحث الثاني: نماذج من الفن التجريدي.

المبحث الثالث: نماذج من الفن التعبيري.

المبحث الرابع : نماذج من الفن التصغيري المنمنمات .

من الصعوبات التي واجهتني خلال انجاز هذا العمل ضيق الوقت فالموضوع ذو آفاق واسعة بمجرد الاطلاع عليها نكون في بحر من الأحداث التي لا يمكن تقييدها بوقت معين ،وكذا عدم توفر الوسائل الضرورية للكتابة ،مع هذا حاولنا انجاز بحث متواضع نتمنى ان نكون قد وفقنا في الالمام بعناصره .

والشكر موصول للأستاذة الكريمة قجال نادية على تفانيها وماقدمته من مساعدة وتشجيع لإتمام هذا العمل .

الفصل الاول: الاستعمار الفرنسي للجزائر

المبحث الاول: استعمار ديني صليبي.

المبحث الثاني: استعمار سياسي واقتصادي.

المبحث الثالث: استعمار ثقافي.

المبحث الرابع: اسهامات الفنان الفرنسي في الاستعمار.

تمهيد:

استعمرت الجيوش الفرنسية الجزائر عام 1830، واستحوذت على ثرواتها عنوة وبسطت هيمنتها وادعت ان لها الفضل في جلب الحضارة للأهالي، والتنوير، والتحرر والتطور وكان الفرنسيون بأطيافهم العسكرية والوطنية والدينية يتغنون بهذه المزاعم، "حتى ان الذي يقرا كلامهم ولا يرى واقعهم يحكم ان الجزائر في العهد الفرنسي كانت جنة الدنيا وان اهلها قد تحضروا وبلغوا القمة في التقدم والتحرر والتنور"[1].

أوجدت فرنسا عدة حجج لهذا الاحتلال على رأسها حادثة المروحة التي كانت مجرد ذريعة او سبب لدخولها لأرض الوطن. فلو نعود الى تاريخ الجزائر لوجدنا فرنسا تخطط لاحتلالها منذ امد بعيد وكل ذلك طمعا في ثرواتها وموقعها الاستراتيجي كونها بوابة افريقيا.

ان الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر كانت منذ بداية التحضير لها تسعى الى تحقيق مجموعة من الاهداف الاساسية منها ما هو عسكري وسياسي اقتصادي وديني وثقافي، وهذا ما يفسر تفانيها طوال فترت الاستعمار في التخطيط لطمس الهوية العربية الإسلامية للامة الجزائرية واستبدالها بالهوية الفرنسية[2].

بدأت تنفيذ هذه الخطط تدريجيا انطلاقا من القضاء على القوة العسكرية ومحاولة جعل الجزائر تابعة لفرنسا واستغلال كل ثرواتها، وتحطيم المجتمع الجزائري ثقافيا مع التركيز على الدين الاسلامي الدعامة الأساسية للمجتمع، ونشر الصليبية [3].

كما استعانت بالمستشرقين الذين كان لهم دور في خدمة الاحتلال، "وهذا ما صرحه وزير خارجية بريطانيا سابقا **اللورد بالفور** قائلا: "ان المستشرقين والمبشرين هم من ساعد جميع الحكومات المستعمرة، وعضدها في كثير من الامور المهمة ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات، ان تذلل كثيرا من العقبات ولذلك فانا في حاجة الى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح هؤلاء" [4].

---

[1]- ابو القاسم سعد، الله تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ج3، ط1 ،1998 ، ص280.

[2]– ينظر : فتح الدين بن ازواو، السياسة الاستعمارية الفرنسية الدينية والثقافية في الجزائر (1830–1954) ، مجلة البحوث التاريخية، م 05،ع : 02(ديسمبر 2021) ، جامعة محمد بوضياف. المسيلة (الجزائر).

[3]– ينظر : لوينسي ابراهيم، الادارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر والتأسيس للقضاء علي الاسلام وتنصير المجتمع في بدايات الاحتلال' الحوار المتوسطي، ع01،جامعة سيدي بلعباس، ص1.

4– عميراوي أحميده، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830.1954) ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954،الجزائر 2007ص123.

المبحث الاول :استعمار ديني صليبي

تصدى الجزائريون للغزو الصليبي بمقاومة شعبية ورسمية، دفاعا عن ارضه ودينه، فاستوعبت فرنسا ان مصيرها في الجزائر متعلق بكبح هذه المقاومة ،واهم العوامل المؤثرة فيها، فراحت تنتهج سياسة دينية لبلوغ أهدافها ،التي اردنا تسليط الضوء حولها[1].

اهتم الفرنسيون بالدين الاسلامي وحاولوا الالمام بتعاليمه، فبذلوا جهدا في انجاز بحوث عديدة، تمس الاسلام والمسلمين، وأحاطوا بمسائل محددة وحساسة خاصة بالدين الاسلامي كالجهاد والمرأة، والحكم ،مع السعي الى تفسير الاسلام وفقا لما يتماشى مع مصالحهم [2]،،فقد أدركوا ان قوة المسلمين تكمن في دينهم وان جوهر المقاومة يكمن في عقيدتهم، فعزموا على النيل من الاسلام كي تسحق المقاومة.

في الواقع ان الصراع الذي كان قائما بين الدول المسيحية الاوروبية والدولة العثمانية الاسلامية قد انقلب على الجزائر لان اسطولها القوي في نظر الدول المسيحية الاوروبية عبارة عن امتداد للأسطول العثماني الذي كان يسيطر على المشرق العربي[3]،كما اتهم الاوروبيون الجزائريين بالقرصنة واخذ الغنائم وسجن المسحيين الى ان تدفع عنهم فدية.

وبما ان الجزائر دولة مسلمة ومحافظة على الدين، كان هذا أكبر دافع للتعاون الأوروبي على ضرب الاسلام فيها ومحاولة تجريده من سلطته.

تتضح النية المسبقة لفرنسا المسيحية لاحتلال الجزائر المسلمة من خلال التقرير الذي رفعه السيد كليرمون وزير الحربية الفرنسية الي مجلس الوزراء الفرنسي في14 اكتوبر1827 والذي قال فيه "بانه من الممكن ولو يمضي الوقت ان يكون لنا الشرف في ان نمدنهم وذلك بجعلهم مسيحيين"[4].

---

[1]- ينظر : محمد الحاكم بن عون، المسألة الدينية في الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسي (1830-1954م) ، اطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، جامعة باتنة -1-كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2018-2019 ص ب.

[2]- ينظر :ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ج6، ط1، 1998،ص424.

[3]-ينظر : عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،بيروت، دار الغرب الاسلامي ، ط1، 1997،ص 86.

[4]- المرجع نفسه، ص86.

اصطحبت الحملة معها 16قسيسا، ولقد خاطبهم دو برمون بعد نجاح الحملة وتوقيع معاهدة الاستسلام من الداي حسين يوم 5جويلية 1830"انكم اعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في افريقيا لنأمل ان تنيع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع "[1]

جاء في المعاهدة" ان السلطات الفرنسية ستحترم الاملاك والنساء والديانة، لكن تم نقضها من دو برمون نفسه، بعد سقوط العاصمة، ففي يوم 06يوليو 1830 نصب الصليب، واقام الصلاة مع الجيوش ورجال الدين"[2]، كانت هذه المعاهدة مجرد حبر على ورق، فسرعان ما شرع المستعمر في اعمال التخريب.

1/هدم المؤسسات الدينية والتعليمية وتعطيلها:

كانت الجزائر قبل الاحتلال تزخر بالمساجد والزوايا التي ادت وظائف تعليمية اضافة الى دورها الديني ليقبل عليها المتمدرسون من كل مكان، حتى كادت نسبة الامية تنعدم آنذاك كون الاغلبية يعرفون القراءة والكتابة.

يعد الدين الاسلامي من أبرز المظاهر الحضارية التي تميز الامة الجزائرية عن الحضارة الاوروبية، لذلك عزمت فرنسا القضاء عليه لعزل المجتمع دينيا واجتماعيا، تمهيدا لتحويلة نحو الحضارة الوافدة التي يمثلها المستوطنون[3]،وهذا بداية من الاعتداء على المساجد والزوايا، وتعطيلها عن اداء مهامها بتحويلها عن غرضها الاصلي فمنها من حول الى كنائس ومنها مراكز طبية وادارية وثكنات عسكرية ليصبح عددها في تناقص كبير، وحتى الاموات لم تسلم مدافنهم وقبورهم من النبش بحجة التوسعة[4]،فدمرتها دون مراعاة لمشاعر السكان، جل ذلك لأذية المسلمين والحط من مكانتهم ،كما تم استبدال المؤسسات الإسلامية بأخرى فرنسية لنشر ثقافتها وديانتها المسيحية على حساب الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الذي عرفت تدهورا وسوء تسيير خاصة للملكيات الدينية[5].

بالإضافة الى سياسة فصل الدين عن الدولة التي انتهجتها لضرب الهيئة الدينية.

2/مصادرة الاوقاف والاستلاء على العقار الديني:

---

[1]-لوينسي ابراهيم، مرجع سابق، ص104.

[2]-محمد الحاكم بن عون، مرجع سابق، ص 34.

[3]-ينظر: فتح الدين بن ازواو، مرجع سابق، ص278-279.

[4]- ينظر: محمد الحاكم بن عون، مرجع سابق ص 34.

[5]- ينظر :فتح الدين بن ازواو، مرجع سابق ص 280.

يعرف ابو القاسم سعد الله الوقف :"انه نظام اسلامي معروف وله اهمية اجتماعية واقتصادية وعلمية في المجتمع واستحدثه المسلمون لتوفير المال والسكن وغيرهما من المساعدات للعلماء والطلبة والفقراء... وصيانة المؤسسات التي انشئت لهذه المصدر الاساسي لنشر التعليم والمحافظة على الدين"[1].

عمدت فرنسا على كسر هذا النظام بغرض إضعاف جهاز التعليم الذي يكمن أساسه في القران الكريم لغاية واحدة الا وهي تمسيح المجتمع الجزائري بالقضاء على قاعدته الدينية ليسهل عليها تمرير مشاريعها، عن طريق الاستلاء على الأوقاف والعقارات الدينية وادراجها ضمن ممتلكات الدولة الفرنسية.

كما اعترف بعض المسؤولين في قولهم "لقد استولينا في كل مكان على هذه الأموال أموال المؤسسات الخيرية التي تلبي حاجات الإحسان والتعليم وذلك بأن حولنا جزئيا عن استعمالاتها السابقة وأنقصنا المؤسسات الخيرية، وتركنا المدارس تتداعى وبعثرنا الحلقات الدراسية، لقد انطفأت الأنوار من حولنا وتوقف انتقال رجال الدين ورجال القانون، وهذا يعني أننا جعلنا المجتمع الإسلامي أشد بؤسا وأكثر فوضى وأكثر جهلا وأشد همجية بكثير مما كان عليه قبل أن يعرفنا "[2]، "[2]، وعليه كانت خطوة الاستحواذ على الاوقاف اشد خطورة مما تبدوا كونها ضربت الامة في الصميم مهددة الجانب الاخلاقي والثقافي والديني الذي يعتبر العمود الاساسي لقيامها وحفظ تراثها الإسلامي .

[1]- لوينسي ابراهيم، مرجع سابق ص 107-108.

[2]- فتح الدين بن ازواو، مرجع سابق ص 280.

3/ التضييق على القضاء وطمس الشخصية الاسلامية:

احتل القضاء مكانة عالية في المجتمع الجزائري ذلك للحرص في توظيف القضات اذ انه لا يمكن توظيف أي كان الا اذا توفرت فيه شروط الصدق والامانة والحكمة لقبوله[1]، لضمان أداء عمله بنزاهة ،تمتع القاضي فيما سبق بالحرية و كان واسع النفوذ حتى ان أمره وقراراته لا يمكن المساس بها أو تغييرها لأنه ملزم بتحمل المسؤولية امام الله و ضميره[2]،حيث مثَّل الحكم الثابت ذو العدالة المطلقة والركيزة الإسلامية التي تشمل الهوية بجوانبها المتميزة عن المجتمع الفرنسي، ولكن أثناء الفترة الاستعمارية انقلبت الأوضاع وتطاولت ايدي المستدمر لتمس القضاء الإسلامي بالتضييق عليه والتشكيك في احكامه، ليصبح القاضي المسلم مجرد اداة لتنفيذ احكام الفرنسيين بما يصب في صالحهم ضمن منهجية عبثية، تهدف لتحويل المحاكم الاسلامية الي فرنسية وتجريدها من مهامها.

كما شكل وجود المحرض الديني حافزا لإحياء الروح الصليبية بين المقاتلين وتشجيعهم على ارتكاب أبشع جرائم تحت ستار الدفاع عن الدين المسيحي، جعل الاستعمار من دماء جنوده ذريعة لتسويغ عدوانه ،زاعما ان قتلهم في الجزائر يساهم في تثبيت ركائز الكنيسة المسيحية [3].

[1]–ينظر: عقيلة ضيف الله، سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر (1830–1954)، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، حوليات جامعة الجزائر 1998، ص325.

[2]–ينظر :ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص423.

[3]–ينظر :أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي، ج1،ط 1، 1992، ص79_80.

المبحث الثاني: استعمار سياسي واقتصادي.

منذ دخول الاستعمار للجزائر عمل بكل ادواته على تفقير الشعب الجزائري وتجريده من ارضه وجعله يعيش غريبا فيها بمنحها للمستوطنين ليتحول صاحب الارض الى مجرد خادم فيها يكلف بأعمال شاقة مقابل اجور زهيدة يعاني الفقر والجهل والمرض محروما من ابسط حقوقه الشرعية، وفي المقابل تشجيع الاستيطان الأوروبي بتقديم له مختلف المساعدات لتثبيت الوجود الفرنسي وتسهيل تنفيذ مخططاته، من بين الاسباب السياسية التي جعلت فرنسا تسعي للدخول الى الجزائر هو عدم تقبلها لوجود دولة اخرى منافسة لها، حفاظا على هيبتها في العالم، لذا قررت التوسع وذلك بالقضاء على هيمنة القوات البحرية الجزائرية في البحر الابيض المتوسط و استعانت بأشخاص بررت وجودهم في الجزائر لأغراض تجارية وسياسية لكن في حقيقة الامر كانوا جواسيس اتوا لدراسة الاوضاع وتقديمها في شكل بيان مفصل للتسهيل على القادة الفرنسيين بناء خططهم وتسهيل توغلهم للجزائر[1].

❖ سياسيا:

1/ الحاق الجزائر بفرنسا والغاء سيادتها :

عرفت الجزائر بعد سقوطها فترة طويلة من التسلط الاستعماري وسياسته العدوانية التي لم تكتف بالسيطرة العسكرية فقط، بل سعت الى مشروع أكبر يهدف لدمج الجزائر بفرنسا وإلغاء سيادتها نهائيا، فافتعلت تغيرات تناسبها ليتعدى ذلك لمحاولة طمس التاريخ الجزائري، في الوقت الذي كانت فيه باريس منهمكة بخططها الخبيثة وخطواتها الدبلوماسية في اوروبا ترك للجيش الفرنسي كامل الصلاحيات ليتعامل مع الوضع وفق ما تقتضيه[2]،لتظهر اللجنة الإفريقية التي قدمت تقريرا شاملا حول ما آلت اليه أوضاع الشعب ، بحيث استنكرت تصرفات الجيش الفرنسي وجاء فيه ما يلي: "«لقد حطمنا... ممتلكات المؤسسات الدينية. وجردنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام واخذناالممتلكات الخاصة دون اي تعويض... وذبحنا اناسا كانوا يحملون عهد الامان...

[1]– ينظر: عقيلة ضيف الله، مرجع سابق، ص300.

[2]–ينظر : ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900. 1930، بيروت لبنان، دار الغرب الاسلامي، ج2، ط1، 1992، ص19.

وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القديسين في بلادهم... لأنهم كانوا شجعانا لدرجة انهم صارحونا بحالة مواطنيهم المنكوبين»"[1]، وحتى تبرر تصرفاتها أعلنت قرار يوم 22جويلية1834 يقتضي أمر جعل الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا و صيانتها[2]

في الفترة الممتدة من 1830 الى1845 لم تثبت الحكومة الفرنسية على نمط اداري واحد بسبب الفوضى الناتجة عن الاحتلال الفرنسي للجزائر هذا ما أدى الى القيام بعدة تجارب تخص التنظيم الإداري فيها ،استمر الوضع على هذا النحو الي ان ظهر نظام شبيه بالنظام المعمول به في فرنسا، وبينما اعلن قرار ان الجزائر ارض فرنسية فانه قد قسمها اداريا الى ثلاث ولايات وكل ولاية قسمت الى دوائر وبلديات تماما مثلما كان الحال في فرنسا [3]، وبهذه الطريقة نلاحظ محاولة فرنسة الشعب الجزائري بإلغاء قوانينه واحكام شريعته وتطبيق القانون الفرنسي، للتغطية على صوت الجزائريين وحرمانهم من حقوقهم السياسية، وقد كان نظام الانتخاب للجزائريين محدود جدا... وبالإضافة الى ذلك، فلم يكن الجزائريون يملكون حق المشاركة في انتخاب رؤساء البلديات او مساعديهم [4]،كما سخرت الإدارة الفرنسية لخدمتها مواطنون من الجزائريين والملقبون ببني وي وي بعد اثبات اخلاصهم،" بالتجسس على مواطنيهم أنفسهم، والخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي عدة سنوات"[5].

2/ القوانين العنصرية القمعية:

تعددت القوانين التي فرضتها فرنسا على المجتمع الجزائري، والتي عرفت بالظلم والعنصرية، اذ أنها تهدف إلى تطبيق تنظيماتها على الشعب واحكام سيطرتها عليه ، كما سعت الى ادماج الشعب الجزائري ومحو شخصيته وتجريده من مقوماته، بتطبيق قانون الاهالي في 28جوان 1881م الذي اعطى الأولوية للمستوطن الفرنسي قبل الجزائري فارضا عقوبات صارمة تمنعه من

[1]– ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق ،ص20.

[2]-ينظر : باحمان فاطمة، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830–1852، بحث مقدم لاستكمال متطلبات شهادة الماستر تخصص حديث ومعاصر ،جامعة ادرار ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية ،2013_2014 ،بص21.

[3]– ينظر: ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 20.

[4]-ينظر: المرجع نفسه، ص 85.

[5]– المرجع نفسه، ص85 ا.

التمتع بحقوقه "فيصبح الجزائريون يتمتعون بنفس الحقوق والواجبات مع الفرنسيين، بل يصبحون يكتسبون الجنسية الفرنسية شرط التخلي عن هويتهم الاسلامية "[1]

وهكذا عملت فرنسا على ان اللامواطنة للمسلمين الجزائريين، وحتى ان كان بعضهم يتمتع بصفة استثنائية، ليصبحوا في واقع مظلم تحت عدالة فريدة تقتضي الجزاء القاسي والردع وهذا يقع على عاتق العدالة الفرنسية [2] ،كان المستعمر في استعداد دائم لضرب الجزائريين بكل الطرق كالاعتقال والغرامات ومصادرة الاملاك ومنحها للمستوطنين، كما اعتمد على سياسة الاستيطان التي تعد اساس لتثبيت كيانه في الجزائر.

3/قمع الحركات الوطنية والنضال السياسي:

جراء كل ما حصل في الجزائر من ظلم واستبداد كان لابد من وجود ردت فعل من الجزائريين تمثلت في ظهور حركات سياسية مقاومة ،شملت وسائل مختلفة لإيصال صوت الجزائريين والتعبير عن مطالبهم كتشكيل احزاب وجمعيات، نوادي ومنظمات تسعي لنشر الوعي والدعوة الى العمل والجهاد في سبيل الله لتحرير الجزائر، لاكن سرعان ما تحركت السلطات الاستعمارية وسعت الي قمع هذه المقاومة والتضييق عل الحركات الوطنية باعتقال المناضلين وحل منظماتها وفرض نفوذها في البلاد فقتلت وعذبت ونهبت الممتلكات وهدمت، وجعلت الشعب يعيش في حصار للحد من أي عمل عدائي.

كانت فرنسا تتعامل بصرامة وقسوة تحاول قمع التحركات والتنظيمات السياسية بكل الوسائل المتاحة ،في نظرهم ان أي مقاومة تعتبر نكرانا للجميل وخيانة لفرنسا مع ادعاء ان كل من يقوم بذلك تابع لدول اجنبية ومجرم .[3]

وهكذا قضوا على مختلف الحركات فور ظهورها ، فككوا نجم شمال افريقيا وكانوا سبب العار الذي حل على النواب المستقلين[4]،ورفضوا احداث أي اصلاح يضمن حقوق الجزائريين حقوقهم وعارضوا وعارضوا التعليم وإلغاء الضرائب والمشاركة السياسية وعملوا على منع أي تغيير يهدد نفوذهم .

---

[1]-احمد وادي، السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والامن الهوياتي في الجزائر، مجلة الناقد للدراسات السياسية، ع02، افريل 2018 ، ص302.

[2]– ينظر :بحوص شاهيناز، القوانين الاستثنائية الفرنسية في الجزائر (1830–1882) ، مجلة "آفاق فكرية " ،جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس (الجزائر ،م10،ع02،أكتوبر 2022ص 73–74.

[3]-ينظر :ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945، بيروت . لبنان، دار الغرب الاسلامي، ج3، ط4، 1992، ص 16

[4]–ينظر :ابو لقاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 16

❖ اقتصاديا:

1/الاستلاء على الاراضي :

من بين الاجراءات الاقتصادية الظالمة التي اعتمدتها السلطات الفرنسية هي الاستيلاء على املاك الجزائريين وتجريدهم من ارضهم بالقوة والمكر ،مع خلق حجج غير شرعية كزعمها خليفة البايلك في امتلاك الاراضي التي كانت من ممتلكاته، ونهب الاراضي من اصحابها بحجة انها من أملاك الدولة وعقابا لنضالهم [1].

يعتمد الاقتصاد الجزائري بشكل كبير على ما تنتجه هذه التربة السخية بالخيرات وهذا منذ كما كان معظم الجزائريين فلاحين وهذا ما جعل المستعمر يهتم بالأراضي الزراعية ويمنحها للمستوطنين لتثبيت الاستعمار موفرا كل احتياجاتهم ،تشجيعا للحركة الاستيطانية.

لقد تبينت الرغبة الشديدة لفئة كبيرة من التجار في تطبيق فكرة استعمار الجزائر والاستحواذ على ثرواتها خاصة الاراضي الصالحة بها وزراعة العنب والتنقيب عن الذهب [2]،تم الاستجابة لهم و منحهم تلك الأراضي، مع ترك الغير صالحة للجزائريين وبهذا يصبح صاحب الارض مجرد خادم غريب فيها لا يتمتع بحقوقه، في المقابل تامين سلامة الأوروبيين وترك المجال لهم للتصرف بأريحية و معاقبة كل من يتدخل في شؤونهم.

كانت نظرة الإدارة الفرنسية اوسع من مجرد الاستلاء على الأراضي فعملت على تحقيق مكاسب وفيرة تمثلت في السعي" إلى توجيه الاقتصاد الجزائري نحو الميدان الزراعي وبالتحديد إلى إنتاج المزروعات التجارية وما يعرف باسم المزروعات الصناعية التي لم تكن متطورة في الجزائر مثل التبغ والقطن"[3].

لقد يسر الانتقال من النظام الاشتراكي الى الراس مالي عملية استحواذ الأوروبيين على أراضي الجزائريين ،فانهك الجزائري وسلب منه حقّه، لأجل تحقيق اطماع المحتل في سبيل ترسيخ

---

[1]-ينظر :مولاي عمار مريم؛ دليمي ابراهيم، القوانين الاستثنائية الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على الشعب الجزائري 1830-1881، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة العقيد احمد دراية . ادرار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم العلوم الاسلامية، 2021-2022، ص 17.

[2]- ينظر: عمار بوحوش، مرجع سابق، ص85.

[3]-باحمان فاطمة، مرجع سابق، ص36.

الوجود وكذا نهب الثروات [1]

2/تدمير الاقتصاد المحلي والسيطرة على الموارد الطبيعية :

شهدت الجزائر تذبذبا في الأوضاع الاقتصادية عند تدخل السلطات الاستعمارية فيها حيث كانت سبب في تراجع المستوى المعيشي في ظل ندرة الموارد كما أصبحت ،الممرات خطيرة وبالتالي عدم تمويل السكان بسبب توقف النشاط الزراعي[2]، "وإذا كانت الجزائر في العهد الروماني تسمى مطمورة روما لكثرة انتاجها للقمح خصوصا، فقد رأت اللجنة مصيبة اخرى وهي امعان رجال الاستعمار في غراسة الخمر، بازدياد عدد السكان يزداد نقص الأراضي الفلاحية التي تبذر قمحا لتغذية الساكنين فالمستعمرون يعملون لجيوبهم وما عليهم ان مات الناس جميعا"[3].

اما الصناعة فلم يكن فيها اي تطور ملحوظ كون المستعمر حرص على اضعافها خوفا من منافسة مصانع فرنسا والتفوق عليها، ويتضح ذلك من خلال ما وضحه مدير الشؤون الاقتصادية قائلا "ليس علينا الشروع في تصنيع الجزائر فان ذلك من شانه ان يضعفنا، ويجعلنا في موقف عدائي بالنسبة للزراعة الفرنسية "[4]،

لقد عمل المستعمر للقضاء على الصناعات المحلية التقليدية فقد تم انتاج صناعة مشابهة لها والعمل على توسيعها في الوطن ،ادى هذا إلى اغلاق العديد من المحلات وتعطيل أصحابها، حتى اننا لو تحدثنا عن جودت الانتاج وكميته عند الجزائريين مقارنة بالفرنسيين لوجدنا هناك فرق فقد استخدم المستعمرون أحدث الوسائل والتقنيات اما الجزائريين ابسطها ولا تكاد تلبي متطلبات السكان.

---

[1]–ينظر: محمد الحاكم بن عون، مرجع سابق، ص 44.

[2]–ينظر : يوسفي فاطمة الزهراء؛ بن على عائشة، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر بداية الاحتلال الفرنسي من خلال كتاب المرآة، مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في تاريخ، تخصص : تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة احمد دراية ادرار . الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم العلوم الانسانية، 2020–2021،ص47.

[3]–بلقاسم ميسوم، سياسة فرنسا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال الفترة 1930.1954،مجلة علوم الانسان و المجتمع، جامعة بسكرة، الجزائر،ع06،جوان 2013،ص60.

[4]– المرجع نفسه، ص61.

وقد ركزت سياسة الاستعمار الاقتصادية على ابقاء الجزائر تابعة لفرنسا والقضاء على شخصيتها، واستنزاف ثرواتها ، وذلك بإنشاء صناعات تخدم الاقتصاد الفرنسي من خلال توفير المواد الاولية لمصانعه فكانت كل المعادن المستخرجة من الجزائر تصدر بشكل خام في حين كانت أغلب الشركات المستثمرة في هذا المجال تابعة للفرنسيين [1]، كل هذا ولم تكتفي السلطات الفرنسية بل فرضت قانون على الجزائريين تمثل في منع اي نشاط شحن بحري للجزائريين الا على السفن الفرنسية، حصارا لوسائل النقل للتجارة الخارجية، وجعل المنتجات الجزائرية تابعة لفرنسا[2]

إذا فان فرنسا قد استخدمت هذه القوانين الاستثنائية فقط على الجزائريين والمسلمين خاصة للضغط عليهم سياسيا وحصارهم اقتصاديا، وجعلت أهل الوطن غرباء في عقر دارهم بمنعهم من مزاولة حقوقهم وأداء واجباتهم اتجاه بلادهم [3] .

[1]-ينظر : زويدي نهاد، دريسي سلمي، الأوضاع الاجتماعية والثقافة ابان الثورة الجزائرية (1954-1962)،مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة 08ماي 1945-قالمة- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ ،2019 -2020، ص17.

[2]-ينظر :ميسوم بلقاسم، مرجع سابق ص 63.

[3]- ينظر :بحوصشاهيناز، مرجع سابق،ص72.

المبحث الثالث: استعمار ثقافي.

لم يقتصر الاستعمار الفرنسي للجزائر على الجانب الديني او الاقتصادي والسياسي فقط بل كان اوسع من ذلك، كونه استهدف الثقافة فمس كل من الهوية واللغة والتاريخ وسعى الى القضاء عليها، فهي تمثل انعكاسا للمجتمع الجزائري ولها علاقة وطيدة بالمجالات السابق ذكرها، ومن خلال ما تطرقنا له فلابد من ان الوضع الثقافي قد تأثر هو الآخر وتحول الى الاسوأ نظرا للظروف السيئة التي مر بها الشعب الجزائري والمثقفون.

لقد كان للاستعمار الفرنسي آثار خطيرة على وطنية وهوية المجتمع الجزائري، خاصة في جانبها الثقافي التعليمي كون القوانين الفرنسية ركزت عليه وسعت بمختلف الطرق لإلحاق الجزائر بفرنسا ثقافيا[1]،وبعد ان أدرك الاستعمار دور الفكر في إعداد الفرد وتسليحه، اقدم على مواجهة الثورة بتطبيق سياسة الكبت الفكري وفرض الرقابة على النشاطات التي ساهمت في تعزيز الثورة الجزائرية لمواجهة الاستعمار[2]، وكل ما هو متضامن مع الثورة من فنانين وادباء الذين كانوا يقاتلون بأسلوبهم الخاص محاولين التعبير عن ارادت الشعب عن طريق انتاجاتهم الفكرية والفنية ،لذا غطت عليهم بالقضاء على كل منتوج فكري قد وجد، "والمتمثل في حجز ومنع كل كتاب يصدر أومقال ينشر أو عريضة تحرر أو محاضرة تلقى تتعلق بها" [3]

لم تترك هذه الاخيرة اي مجال لإبداء الآراء او توعية الشعب خوفا من مقاومته كمثال الكاتب محمد ديب،" الذي استطاع أن يوظف كتاباته لفضح مساوئ الاستعمار في الجزائر وتوعية

[1]-ينظر: مولاي عمار مريم؛ دليمي ابراهيم، مرجع سابق، ص42.

[2]– ينظر: سعيد جلاوي، الصراع الثقافي بين الاستعمار والثورة الجزائرية، دراسة من خلال مجلة (الفكر) التونسية 1962/1955، السنة الثامنة، (اكتوبر 2013)، ع(14)، ص113.

[3]– المرجع نفسه، ص114.

الجماهير الشعبية .حيث اصدر كتابا بعنوان " في المقهى" فقامت السلطات الفرنسية بمنع تسويقه في الجزائر"[1]،كما حاولت تشويه سمعة الثورة بتزوير الحقائق واستعمال اساليب ملتوية لمحاربة المثقفين فمنهم من قتل ومنهم من تم اغتياله، هكذا كان مصير المثقفين جزائريين الذين لم ينجو منهم سوى من غادر الوطن .

هذا الاستعمار الفكري كان أخطر من العسكري كونه استمر حتى بعد الاستقلال، "وقد وصف أحد المعاصرين حالة الثقافة بأنها عاشت بين الحياة والموت، لان الادارة الاستعمارية عملت باستمرار للقضاء على تلك الثقافة "[2].

1/السياسة التعليمية في الجزائر:

لو نعود الى من درسوا موضوع التعليم في الجزائر قبل الاحتلال وفي بداياته لوجدنا اختلافا كبيرا، فقد كانت المدارس بكثرة حتى تكاد تفوق عدد السكان وكذا كثرة المتعلمين، و يرجع ذلك الى حرية التعليم ووفرة وسائله، شمل هذا الاخير مختلف طبقات المجتمع فلم يفرق بين غني وفقير فكلاهما تلقى نفس البرنامج مع نفس المعلم واللغة ،تقريبا كان الجميع يعرف القراءة والكتابة لتكاد نسبة الامية تنعدم بسبب حب العلم والتعلم ومكانتهما الراقية في المجتمع ليظهر كنوع من التعبد وجزئا اساسيا في الحياة" جاء في الوثائق الفرنسية الرسمية ان التعليم العربي الاسلامي كان على العموم مزدهرا سنة 1830،وهو متألف من مستويات التعليم الثلاثة المعروفة اليوم: الابتدائي والثانوي والعالي. وكان التعليم الثانوي والعالي مجانا، اما الابتدائي فقد كان بأجر اختياري ضعيف"[3]، كان المعلمون احرار وسمعتهم جيدة فاشتهروا ليصبح أثرهم الطيب هو الذي يقود المتعلمين عندهم من مختلف الأماكن.

[1]– سعيد جلاوي،مرجع سابق ،ص141.

[2]– بلقاسم ميسوم، مرجع سابق، ص67.

[3]– ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص 22

بعد دخول الاحتلال الفرنسي لم يكن في الجزائر أثناء فترة الخمسينيات أي نظام فرنسي خاص بتعليم الأهالي لأنهم كانوا يتعلمون في المدارس القرآنية والزوايا والمساجد بأموالهم الخاصة أو بالاعتماد على مداخيل الأوقاف [1]، التي مثلت المحرك الاساسي للحركة العلمية لوفرتها فتزيد أحيانا عائداتها لتمنح للفقراء، شكلت عائقا للمستعمر وسياسته المجحفة ،دفعه ذلك الى مصادرة تلك الاوقاف وضمها لأملاك الدولة الفرنسية، وبهذا الفعل بدأ التعليم يتلاشى وتوقفت الحياة العلمية منها التعليم الابتدائي والثانوي ولم يبقى سوى بعض الزوايا المعزولة حيث الدروس العليا .

بعد بحث حول التعليم في الجزائر أدرك المستعمر انه يرتكز على قاعدة اساسية وهي الدراسات الاسلامية أي القرآن، لذا لم تحاربه السلطات الفرنسية بطريقة مباشرة ولم تمنعهم خوفا من ردود السكان فاعتمدوا على اساليب ماكرة تمثلت في ابقاء التعليم القرآني ومصادرة اساس تمويله، وتجريده من مؤسساته بهدمها وغلقها وكذا نفي العلماء وترهيبهم مع التدخل في طرق التعليم وتقييده وفقا لما يناسبهم،" أصبح المدرس لا يدرس الا ابوابا معينة من الفقه والتوحيد واصبحت دروسه للعامة فقط وليس للطلبة والعلماء كما كان الحال في السابق "[2]

لقد أضعف الفرنسيون جهاز التعليم منذ البداية فأهملوا المدارس والمدرسين واستولوا على الاوقاف، ووضعوا ايديهم على المكتبات والكتب، وراقبوا مواد التدريس وتحكموا فيها." فكان التعليم (التدريس) اول ضحية لإدارة الاحتلال التي شعرت بعدم الحاجة اليه مطلقا مادام يتعلق بالمسلمين"[3]

[1]–بنظر : احمان فاطمة، مرجع سابق، ص50.

[2]– ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص346.

[3]– المرجع نفسه، ص347.

2/محاربة اللغة العربية والثقافة الاسلامية:

كان التعليم في الجزائر عربي اسلامي حيث انه، عربي ثقافيا واسلامي روحانيا ويعتبر امتدادا للتعليم الذي كان منتشرا في العهد العثماني كما يمكن وصفه بالتعليم التقليدي أو الاصلي لأنه مر على اجيال من المتمدرسين ولاعتباره" حافظ على التراث القومي في وجه الغزو الحضاري الاجنبي"[1]

عملت فرنسا على الفصل بين العلم والدين للتخلص من التعليم القرآني فبينما اهملت دراسة الدين اصبح فهمه يتوجب الرجوع الى الشروح التي تعتمد على اللغة العربية وهذه الأخيرة كانت ضحيه المستعمر الذي حاول محوها .

توقف التعليم عن اداء مهامه بسبب ظروف الحرب، وانشاء مدارس فرنسية للتحكم في التعليم ولجذب المتمدرسين ادخلوا مادة حفظ القرآن لاكن دون تفسيره لهم ومنع تدريس باب الجهاد، "وكان التلاميذ في هذه المدارس يحفظون القرآن بطريقة جديدة وهي الجلوس على المقاعد وفتح المصاحف وحفظ الآيات التي يعينها الطالب لهم "[2]

ان التشويش الحاصل وعدم استقرار الحياة العلمية زاد من تمسك السكان برفضهم لهذا النوع من التعليم وقاطعوا المدارس الفرنسية، تفطنا منهم ولاعتبارهم ان المدرسة هي مكان تعليم القرآن والعقيدة والاسس الدينية في حين تسعى المدرسة الفرنسية لتمسيحهم وفرنستهم[3].

---

[1]-- *ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 17.*

[2]-المرجع نفسه، ص37.

[3]-ينظر :ا لمرجع نفسه ص 25.

مع كل هذا التخريب الذي حصل لم يستسلم المسلمون ولا حتى الزوايا حيث استمرت في نشر الوعي سرا وعلانيه مستخدمين مختلف الوسائل لإيصال رسالتهم، وإذا كان المستعمر يراقب كل من التعليم ويتحكم في مصادر تمويله الا انه لا يستطيع مراقبة ما يبثه المعلمون في طلباتهم من روح وتوجيه صالح.

كما شجعت السلطات الاستعمارية اللهجات البربرية وأضافت الفرنسية للتعليم، جاعلة اللغة العربية لغة اجنبية والفرنسية هي الرسمية. وكان ذلك موقفا واضحا من الدين الاسلامي ايضا" لان اللغة العربية هي لغة القران الكريم ولغة الحضارة التي كتب به تراث الدولة الاسلامية[1]،.ولكي تحكم السيطرة على الثقافة العربية، صدرت قرار ضد التعليم، وهو منع الجزائريين من فتح المدارس الا بوجود رخصة لها شروطها لضمان السير وفق أوامرها [2].

اما المدارس الفرنسية التي تم انشاؤها في الاصل لم يكن للدين الاسلامي واللغة العربية مكان فيها اذ ادعوا ابقاء دراسة اللغة وحفظ القرآن الذي غيروا في طريقته الكثير كان هذا مجرد اجراء شكلي لجذب المتعلمين، وتسهل عليه فرنسة الاهالي ونشر ثقافتهم الغربية وتمسيحهم، لذلك كان اقبال المتمدرسين قليل عليها تفطنا منهم لخطة المستعمر، هذا لا يعني استغناء المستعمر كليا عن اللغة العربية فسرعان ما ادرك اهميتها، و باشر في دراستها وإنتاج عدة اعمال كترجمة المؤلفات العربية و ذلك لحاجتهم اليها ، فهي مفتاح لفهم الشعوب والتواصل معهم للوصول الى اسرارهم ومحاربتهم بها وللتمكن من مراقبة التعليم، وبهذا كانت فوائد دراسة هذه اللغة كبيرة بالنسبة للفرنسيين .

كان للسلطات الحق في سحب رخصة التعليم من المعلمين إذا خالفوا الشروط التي بسببها تعرضت العديد من مراكز التعليم للغلق واعتقال ملاكها لمخالفتهم الشروط وتعليمهم اللغة العربية بطريقة غير شرعية مخالفة للإدارة الاستعمارية " [3]، وقد ادى هذا الى فرنسة التعليم والحط من مكانة المعلم والاساءة لسمعته، فقد تدخل المستعمر في منح مناصب لرجال الدين المخلصين

---

[1]– *ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8،ص13.*

[2]–ينظر : *فتح الدين بن ازواو، مرجع سابق، ص 286.*

[3]–ينظر :فتح الدين بن ازواو، مرجع سابق،، ص288.

للمستعمر والسائرين على نهجه[1]، ليتم توظيفهم من قبل الدولة الفرنسية مقابل أجور محددة ،كما استعملتهم في محاربة جمعية العلماء ودعوتها الاصلاحية مع افتعال صراعات مذهبية ونشر الفتنة وعليه فقد ادى ذلك كله الى انتشار افكار الشرك بالله والشعوذة بين الافراد.

لقد اظهر بعض الفرنسيين قلقهم بشأن ترك الجزائريين دون تعليم خوفا من تأثير رجال الدين عليهم، وحين فتحهم للمدارس الفرنسية ومقاطعة الجزائريين لها قرروا جعل التعليم الفرنسي اجباري وعدم ترك اي فرصة للتعليم في مكان اخر، رغبة في انشاء نخبة مفرنسة تساهم في تسهيل عملية التوغل وسط الجزائريين خاصة المتعلمين منهم وابعادهم عن عن لغتهم وبيئتهم وثقافتهم [2]، واهتمامهم بتعليم، ليس حبا في الأهالي المسلمين، وإنما رغبة في استمالتهم لردّهم عن دينهم وعزلهم عن المقاومة .

[1]–ينظر :ا حمد *وادي، مرجع سابق، ص301.*

[2]–ينظر : *فتح الدين بن ازواو، مرجع سابق، ص289.*

3استغلال التنوع الثقافي لبث الفوارق اللغوية وتزييف التاريخ :

اهتم الفرنسيون بدراسة اللغة العربية ولهجاتها وهذا منذ البداية لحاجتهم لفهم الجزائريين. "أما دراسة البربرية ولهجاتها فقد جاءت فيما يبدو، نتيجة لما سمي بالسياسة الفرنسية البربرية، وهي السياسة التي قامت على تبعيد السكان عن بعضهم وتقسيمهم إلى بربر وعرب، وأقلية وأغلبية، لكي تظل الكلمة الفصل للفرنسيين أنفسهم "[1]، مستغلة التنوع الثقافي بين أبناء البلد الواحد وركزت على سكان جبال القبائل الكبرى والصغرى، وادعاء ان اسلامهم ظاهري فقط وهم خصوم للعرب ،لذا فوجب الفصل بينهم وضرورة تفردهم بركيزة ثقافية خاصة[2]،وهذا لكسر الوحدة التي كانت اساس قوة المغرب العربي، ادعاء" أنهما أمتين مختلفتين في كل شيء ولا تجمعهما إلا الارض، وذلك لضرب الصلة بين الاسلام عقيدة، والعربية لسانا واطارا"[3]،ولتفريقهم عن بعض نشروا افكار ان الامازيغ ولغتهم هي الاصل وهم الاغلبية وان العربية جاءت مع الفاتحين كما جاءت الفرنسية مع المستعمر اضافة الى محاولة اثبات ان للأمازيغ دين غير الاسلام، لإحياء الاعراف والتقاليد الوثنية الامازيغية كل هذا لتثبيت الاستعمار وزيادة قوته وتشتيت وحدت الجزائريين.

كما عملت الادارة على تشويه تاريخ الجزائر، ومنع دراسته خاصة الجانب المتعلق بالعهد الإسلامي بحيث "كان تاريخ الجزائر وجغرافيتها يدرسان في اقل من شهر خلال الستة سنوات الاولى من التعليم، بينما تاريخ فرنسا وجغرافيتها يدرسان طول سنوات الدراسة "[4].

اعتمدت فرنسا على سلاح آخر ضمته لصفها للتغطية على جرائمها وهو الاعلام والصحافة مثل جريدة المبشر "الجريدة الرسمية للإدارة الفرنسية والتي من خلالها تخاطب الجزائريين " [5]

---

[1]– . ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8،مرجع سابق، ص30.

[2]–ينظر : فتح الدين بن ازواو، مرجع سابق، ص294.

[3]– ابراهيم سعد الشاكر، التنوع الثقافي في الجزائر: التعايش مع الاختلاف، مجلة معالم، المجلد 15، العدد 02، 2022، جامعة يحي فارس . المدية. الجزائر، ص106.

[4]– ميسوم بلقاسم، مرجع سابق، ص69.

[5]– . ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6،مرجعسابق،ص138–139.

والتي كانت تزور الاخبار وتتعمد اخفاء الحقائق كمحاولات التنصير والكنيسة وادعاء ان الفرنسيين يقومون بأعمال خيرية كالعلاج والتعليم، هذا لإغراء من هم بحاجة من السكان والفقراء.

حاول المستدمر قطع جسور التواصل بين الثورة والشعب بفرض حصار اعلامي ومنع كل ما يصدر من كتابات او عن طريق أجهزة الراديو التي سرعان ما تم حجزها،" لمحاولة خنق الثورة ومنع وصولها الى الخارج. سواء عن طريق التشويش او الدعاية المضادة وتشويه صورة الثورة والثوار بنعتهم بأوصاف مختلفة على غرار الفلاقة، قطاع الطرق خارجون عن القانون ...الخ "[1].

كما أثر الفنانون في هذا المجال فبدخولهم الى الجزائر نشرت اساليب فنية غريبة في الرسم والموسيقى والمسرح لمحاولة ابعاد الجزائريين عن أصلهم وفنونهم التقليدية، وكذلك محاولة التغطية وصرف الانتباه عن المجازر التي يقوم بها المستعمر، حتى اللباس التقليدي ارادت محوه والتشجيع على اللباس الغربي. اضافة الى ما هو اهم تمهيد الطريق امام المبشرين من اجل تنصير أكبر عدد من الجزائريين وابنائهم والاطفال اليتامى والمشردين، وهذا بإغرائهم بدعم مالي للمحتاجين الذين ارهقهم الفقر والجوع، ومحاولة تشويشهم وتشكيكهم في عقائدهم وهويتهم بالخصوص في المناطق التي تسود فيها ثقافات بعيدة نسبيا عن الثقافة العربية [2]

وفي الاخير نقول ان هذه السياسة الاستعمارية وخاصة منها المتعلقة بالجانب الثقافي الروحي، قد تركت آثار وسلوكيات دخيلة على المجتمع الجزائري بسبب مكوث الاستعمار مدة طويلة واستعماله طرق عديدة استهدفت العقول بعدما أنهكت القوى، تهديدا لوحدة المجتمع والامن الهوياتي.

[1]– مختار جلولي، دور الاعلام الوطني في الثورة التحريرية من التأسيس الى الممارسة (1954–1962)، مجلة العبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، م06،ع02، جوان 2023، جامعة ابن خلدون . تيارت . ص489.

[2]– ينظر: احمد وادي، مرجع سابق، ص300.

المبحث الرابع: اسهامات الفنان الفرنسي في الاستعمار.

لقد كان صمود الشعب الجزائري في وجه المستعمر الفرنسي أعظم مما يظن "ويعود ذلك إلى طبيعة التكوين الثقافي والمجتمعي والأخلاقي العربي الإسلامي"[1] ومما لا شك فيه ان الحملة الفرنسية بالجزائر شكلت نقطة قوة للتواصل بين الشرق والغرب ومن هنا تنشط مجالات عديدة من بينها الاستشراق الفني، فقد قامت الحكومة الفرنسية بالاهتمام بالإرث الثقافي والفني للجزائر من خلال جلب فنانين وتوفير ظروف ملائمة لينجزوا عملهم بأريحية.

من الطبيعي ان يهتم المستشرقون بالشعب المستعمر لينشغلوا بالمجال الذي هم في حاجة اليه، ولو نعود الى اعمالهم لوجدناها شملت جميع الميادين، فمنذ دخول الجيش الفرنسي لأرض الجزائر بدأ المستعمر يضع يده على كل شيء فخرب ونهب المخطوطات والوثائق وكل ما يتعلق بشخصية واساس المجتمع الجزائري من تاريخ وهوية وثقافة ودين، لذا فنقول ان بداية الاستشراق كان ظاهرها استكشافي اشباعا للفضول لاكن باطنه استعماري وهدفه هو نشر الثقافة الغربية وفرنسة المجتمع الجزائري.

1/الترويج للاستعمار عبر الفن :

كان للحملة الفرنسية دور في فتح أبواب الشرق امام المستشرقين الذين أبدو اهتماما بالغا به منذ امد سبق الاحتلال فجاء البعض معها وآخرون بعدها [2]، جريا على تقليد حملة نابوليون على مصر، "وقد شكل ازدياد اهتمام البرجوازية الفرنسية بمصالحها خارج نطاق الأرض الفرنسية دافعا قويا للحركة الاستشرافية الفنية الرومانسية باتجاه ازدياد الطلب على تصوير المشاهد الجزائرية وغدت الجزائر بمثابة ((موضة)) للعسكريين وأصحاب المصارف والبرجوازيين الصغار"[3].

شجعت الحملة الفرنسية الرسامين المستشرقين على القدوم الى الجزائر مع توفير كل الظروف المناسبة لمكوثهم اضافة الى المهام الموكلة إليهم منها العسكرية والفنية كتصوير المعارك

والمقاومة ،توالت بعد ذلك زيارات الفنانين ومكوثهم بالجزائر "واكتشافهم لأسرار وعطور الشرق

[1]– مباركي فاروق؛ زرفاوي شوقي، النزعة التكعيبية في الفن التشكيلي الجزائري اسماعيل صمصوم" انموذجا"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفنون التشكيلة، جامعة ابو بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون، 2019م/2020م، ص38.

[2]– ينظر :ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص374.

[3]– عميراوي أحميده، مرجع سابق، ص124.

فيها"[1]

من الواضح ان السلطات الاستعمارية قد وفقت في تسخير الرسامين المستشرقين لخدمتها والدّور الذي أوكل لهم تمثّل في رسم الصّور الإيضاحيّة المتعلّقة بالمعارك التي خاضها الجيش الفرنسي ضد المقاومة الجزائريّة، حيث" ترفق بالتقارير التي كان يبعث بها القادة العسكريّون المتواجدون بأرض المعركة الى السلطات الفرنسية المتواجدة بالضفة الاخرى بباريس "[2]، ساهمت هذه الطريقة في نشر افكارهم من خلال اعمال مختلفة تحمل مفاهيم خطيرة على المجتمع، كتحسيس الفرد الجزائري أنّه موجود في جزء من التراب الفرنسي ومن الثّقافة الفرنسية، كما استغلت السلطات الفرنسية الفنانين واعمالهم لتسويق افكارهم واقناع الشعب الجزائري ان الجيش الفرنسي ليس جيشا محتلا وانما ذو رسالة حضارية منقذة من التخلف. اعتبر الفرنسيون وخاصة الفنانون لفترة طويلة أن الجزائر جزء من المشرق الذي تم ذكره في ألف ليلة وليلة ليتبين ذلك في انجازات الرسامين الفرنسيين الذين توجهوا للجزائر بأنفسهم أو على نفقة الحكومة الفرنسية ،"فقد اهتموا في لوحاتهم بالجزائر «الشرقية» ـ القصبة واسرارها، والبازارات وبخوراتها، والوانها الزاهية، والمرأة وسحرها وفنونها، والانسان العربي في بداوته «المتوحشة»، والطبيعة الخلابة، والاسلام ومساجده ومناراته"[3].

لقد كانت الحركة الاستشراقية بمثابة اشهار اغرائي جاء فيه وصف للبلاد وأهلها وعاداتها وتقاليدها ،لتشجيع القدوم للجزائر والسيطرة عليها ، ارتكزت اعمال المستشرقين على مواضيع المستعمِر والمستعمر فقد حرصوا في اعمالهم على اظهار الجيش الفرنسي في شكل منظم لا يقهر وفي حالة استعداد تام لمطاردة المقاومة، و تمثيله دائما في دور الغالب ، تم تصوير هاته المشاهد وفقا لخيال المستعمر للإظهار قوته وتبيان خوف المقاومة "كما ان الصور التي تركها الفنانون عن

الجزائر تمثل طابع العنف والوحشية في الغالب، وهكذا فسيوف الجزائريين كانت مضرجة بالدم، مع رسم الهيكل العظمي خلف الصور، وكانت صورة فرنسا الحضارة هي الماثلة دائما "[4].

[1]– ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8،مرجع سابق، ص374

[2]– محمد خالدي، المستشرقين وأثرهم الفكري والفني في الجزائر، مجلة الأثر، ع13، مارس 2012، جامعة تلمسان (الجزائر)، ص275.

[3]– ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص50–51.

[4]– ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8،ص377.

كما كان موضوع المرأة الجزائرية شائع في لوحات الرسامين الفرنسيين واهتمامهم بالغا بها فيمكن أن نحكم على أن الشرق لديهم حصر في موضوع المرأة ليتم تصويرها عارية تشويها لها [1]،زكما تشرح الدكتورة قجال نادية فإن الفن الاستشراقي وظف في دراسة الأهالي سوسيولوجيا من خلال الأسلوب الواقعي ووظف في الترويج للاستيطان عبر الموضوعات الرومانسية التي تعتمد على الخيال في رسم لوحات توقظ في المتلقي الغربي التوق لقصص الاميرة شهرزاد حيث الجواري الحسناوات ومشاهد العري كما وظف في الجاسوسية عبر مشاهد طبيعية توضح جغرافية المكان وتدرس السلوك والعادات وترصد مكامن القوة والضعف لدى الاهالي المستهدفين [2]

و الحقيقة كان المجتمع الجزائري محافظا الأمر حال دون اقتراب الأجانب من المرأة التي كانت تمثل نصف المجتمع المخفي خلف جدران العمارة الإسلامية الصماء.

فمن المستحيل ان تظهر المرأة المسلمة بذلك الشكل امام اي كان لأنها تمثل عرض المجتمع المسلم ، ويعد هذا افتراء للمساس بخصوصية المجتمع الجزائري ودينه، ونذكر على سبيل المثال تمثال المرأة العارية بولاية سطيف حيث تم نحته من قبل احد الفنانين الفرنسيين،" ونُصب بوسط السّاحة المركزية أمام المسجد العتيق في عام1889م "[3]، جاء اختيار فرنسا لإقامة هذا التمثال امام المسجد عمدا ذلك لخدش حياء المصلين وليس للتزيين، وكرد فعل رافض على بناء المسجد العتيق بذلك المكان[4]، وقد تحايل الفنانون لدخول الاماكن المحرمة على امثالهم من قبل فاظهروا في فنهم انهم دخلوا الحريم، والمساجد والحمامات وهذا أمر مشبوه ، يرى بعض الباحثين انهم جعلوا من المرأة اليهودية نموذجا، و استفزازا للمسلمات و ارغامهن على التوقف اثناء المشي لتصويرهن[5]

[1]–ينظر : بن عزة احمد، الفن التشكيلي الجزائري المعاصر قراءة دلالية لبعض النماذج الفنان بالعباسي نبيل نموذج، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في دراسات في الفنون التشكيلة، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان . الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون، 2016–2017.

[2] ينظر قجال نادية الوظائف الأساسية للرسم الاستشراقي قبيل وإبان الاستعمار الفرنسي للجزائر مجلة إنسانيات2009 ص ص 127-142

[3]– أحميدة لخضر، مراحل نشوء وتطور المدارس الفنية في الجزائر ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفنون التشكيلية ،جامعة ابي بكر بلقايد –تلمسان الجزائر ،كلية الآداب واللغات والفنون ،قسم الفنون ،2018–2019، ص41.

[4]–ينظر : ليليا عثمان الطيب، صورة المرأة الجزائرية في لوحات الرسام الامريكي المستشرق فريديريك آرثر بريدجمان، برلين . المانيا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية الاقتصادية، ط01، مارس 2022، ص28.

[5]–ينظر : ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8،مرجع سابق، ص377.

وحسب الدكتورة قجال نادية فإن رسم اليهوديات كان متاحا آنذاك وجاء ذلك في كتاب ماريون فيدال بوي[1] كما جاء في كتاب شتاء في الجزائر لفريديريك ارثر بريدجمان تأكيد أن اليهوديات كن يعرضن كموديلات أمام الرسامين المستشرقين و يفتحن أبوبهن لهم .

كما تبنوا مواضيع اخرى تمثلت في تصوير الحيوانات المتنوعة وعلاقة الانسان بها اضافة تلي الاسلحة والجواهر وكل ما يخص ثروة المجتمع الجزائري، وتم توفير كل الوسائل التحفيزية الداعمة لهؤلاء الرسامين، كإنشاء مدرسة الفنون الجميلة وفتح فيلا عبد اللطيف

[1] ينظر قجال نادية المرجع السابق ص 134

2/الفن سلاح ذو حدين :

في بداية الاستعمار الفرنسي، صارت الجزائر، الوجهة المفضلة للأدباء والفنانين المستشرقين. وقد عبر احد اعمدة الاستشراق الفرنسي عن مكانة الجزائر بالنسبة للرسامين المستشرقين بقوله "ان السفر الى الجزائر يضاهي، في اهميته، ضرورة الحج الى ايطاليا"[1]،اختلفت اهداف ونوايا الفنانين المستشرقين الذين قدموا الى الجزائر فمنهم من فتن حقا بعالم الشرق وقدموا لرؤيته والتمتع بسحره، فكان ملهما لهم في الكثير من الاعمال ومنهم من جاؤوا لأهداف عسكريّة بزي مدني ساعيا لنشر حضارته وكذا فنه وجعله وسيلة لولوج الاستعمار الى وسط الحضارة الاسلامية والمجتمع الجزائري، حتى ان البعض بالرغم من نواياهم الخبيثة ساهموا في خدمة الجزائر بطريقة غير مباشرة لتكون لوحاتهم كشاهد تاريخي لإرثها وترسيخ هويتها.

كانت اعمال هؤلاء في غاية الابداع والدقة مدهشة بالنسبة للناظر لكن المتفحص والمتمعن فيها يجدها تشكل خطرا على الهوية ، لما تميزت به من تشويه وتزييف وتصوير مواقف تتعارض مع المجتمع الجزائري المسلم ،فنجده يأخذ المرأة المسلمة كأساس لتصويره ولها بالغ الاهتمام في اعماله ولكن يصورها بإباحية بثوب شبه عار، اما شفاف او مكشوف إبرازا لمفاتنها وادق التفاصيل في جسدها واحيانا يصورها عارية كليا، و بالرغم من معرفة انه مجتمع محافظ تعمد الرسامون هذا الأسلوب المسيء للشعب وكسر حرمته وحرمة بيته ، ونذكر "لوحة نساء الجزائر في مخدعهن" ليوجين ديلا كروا "وكذا فريديريك شاسيريو ،وقد كان يسير على هدى مدرسة دي لا كروا، ومن لوحاته (الراقصات بالمناديل)، وله اخرى بعنوان (الخروج من الحمام) و(دخول الحريم) فموضوعاته ذات صلة بالمرأة والحياة الداخلية «المحرمة» "[2].

[1]– بن عزة احمد، مرجع سابق، ص19

[2]––أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص379.

وفرومونتان الذي اهتم بالحياة الجزائرية الواقعية وراح يصفها بأدق تفاصيلها اهتم في رسوماته بالمناظر الخارجية ، "وعناصر فنه هي: الخيل، والأشجار، والإنسان العربي والسماء (الأفق). غير أن الروح الاستعمارية كانت واضحة عنده. فالجزائر كانت عنده مجرد موضوع جميل ريفها وصحراؤها وسماؤها، ولذلك فهي موضوع للامتلاك والاستغلال وإذن فهي عنده فريسة يجب قنصها، وقطعة من الشرق يجب فرنستها. ومن لوحاته: جمل وجمال والصيد بالصقور، وقطاع الطرق، وعرب هاجمهم أسد في مضيق" [1]، وغيرهم الكثير ممن قدم خدمات جليلة للمؤسسة العسكرية سواء بدراسة الاهالي اجتماعيا أو بالجوسسة أو بالرومانسية المروجة للاستيطان

خلاصة:

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص 381.

وفي خاتمة هذا الفصل نقول ان خطط الاستعمار الفرنسي لم تبدأ منذ سنة 1830فقط، بل كان اهتمامه بها وبالشرق عامة منذ امد بعيد، فمنذ ان وطأت اقدامه ارض الوطن سعى الى تثبيت وجوده عبر فرض ثقافته ومعتقداته مستخدما ذرائع التحضر والانقاذ من الجهل والعزلة التي فرضها الحكم العثماني، وقد امتدت سياسته التدميرية لتشمل جميع الميادين ،فدينيا عمل على هدم المساجد ومحاربة الزوايا ونشر الصليبية ، اما سياسيا واقتصاديا فقد سعت بكل الطرق لإثبات ان الجزائر قطعه فرنسية وجزءا لا يتجزأ منها، من خلال تزوير الانتخابات وسلب الاراضي وسياسة الأرض المحروقة وتشجيع الاستيطان ونهب الثروات وتسويق سلعها وإفقار الأهالي ، حتى الجانب الثقافي لم يسلم حيث تم استهداف التعليم العربي الاسلامي وروج لصورة مشوهة عن المجتمع خاصة المرأة لخدمة اطماعه الاستعمارية وطمس الهوية ومعالم الحضارة .

لم يكن الفنان بعيدا عن هذه السياسات اذ تم استخدامه كأداة استشراقية للتجسس على الحياة الجزائرية ،ورغم كل هذا الظلم والاستبداد لم تستسلم الجزائر فالمقاومة استمرت بجميع اشكالها السلاح والكلمة والريشة حتى تحقق الاستقلال بعد صراع مرير افتكته حروب قادها الايمان .

الفصل الثاني: الفن التشكيلي والمقاومة

المبحث الاول :اسهامات الفن التشكيلي في التصدي للمزاعم الاستعمارية

المبحث الثاني: نماذج من الفن التجريدي.

المبحث الثالث: نماذج من الفن التعبيري.

المبحث الرابع : نماذج من الفن التصغيري المنمنمات

تمهيد:

في ظل التحولات الكبرى التي عرفها العالم، شهدت الجزائر رفضا شديدا للأمر الواقع، فهي من بين الشعوب التي وجدت نفسها ضحية للاستعمار ،الذي شكل خللا في النظامين الاجتماعي والثقافي، ومن محاولات لطمس الهوية.

كانت بداية المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي بالثّورة المسلّحة،" التي كان قادتها نُخبة من المثقفين والسياسيين والعسكريين الذين كانوا على وعي تام من أن نجاح الثّورة الجزائرية متعلق بمُجابهة الاحتلال على جميع الاصعدة "[1]، فاستعانوا بالفن التشكيلي ليُجابهوا التحديات وينقلوا رسائلهم، فنجد الساحة الفنية تزخر بأبطال اتخذوا من الريشة سلاحا لهم ومع كل لمسة في اعمالهم تظهر روحهم الوطنية.

[1]– أحميده لخضر، مرجع سابق ، ص57.

المبحث الاول: اسهامات الفن التشكيلي في التصدي للمزاعم الاستعمارية.

كانت فكرة النضال من اجل الحق والحرية راسخة في قلوب الشعوب المستضعفة. فقد عانت تلك الشعوب اشكالا مختلفة من التسلط الاجنبي، والتاريخ يشهد ذلك فهو سجل للزمن يروي لنا حياة من سبق [1]، ولعل اقرب مثال ما حصل في الجزائر، فقبل دخول الاستعمار كانت الحياة فيها مزدهرة، غنية بالمواد الاولية والخيرات ولم يكن شعبها جاهلا ولا عاجزا، فله خبرات قتالية برا وبحرا، شكل هذا عائق للسلطات الفرنسية جعلها تتخذ طرق عديدة للإطاحة بها لذا فرضت سياسة استعمارية وحشية في مختلف المجالات ، من حصار للمقاومة واخفاء لصوت الحق، لكن كان هذا سبب اصرار الجزائريين على المواجهة مما زادهم تشبثا والتزاما بواجبهم اتجاه وطنهم، "ومن المعروف عن طبع الإنسان أنه يزيد تمسكا بمعتقداته الدينية وتراثه الاجتماعي و الثقافي كرد فعل لتفاقم ظواهر الاضطهاد والظلم الجائر...عليه. فإذا فضت كل وسائل الدفاع العسكرية منه اومنعت عنه، لجأ تلقائيا إلى مختلف أساليب الفن للتعبير على هويته الفكرية والحضارية" [2].

لم تقتصر المقاومة على المجال العسكري او السياسي الاقتصادي فقط، بل بحنكة وذكاء المحاربين اوجدوا طرق مختلفة لإيصال اصواتهم والتعبير عن ما يحدث في بلادهم ولشعبهم، عبر غسان كنفاني حين سئل من قبل صديق له: "ياغسان رأيتك تحمل الريشة ثم القلم والآن السلاح. ماذا ستحمل في المستقبل؟" قال: اي شيء استطيع الدفاع به عن النفس الريشة، القلم السلاح، ادوات ادافع بها عن نفسي. اذ ان النضال بالقلم لا يقل اهمية عن النضال بالبندقية، باعتباره وسيلة اساسية في الدفاع عن قضية وطن وشعب" [3]

---

[1]–ينظر : آيت سعدي تركية، نضال الفنان التصويري الجزائري ابان الاستعمار الفرنسي، دراسات فنية مخبر الفنون والدراسات الثقافية، جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان، م06، ع01،(2021)، ص2.

[2]– نجاة عروة، من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر، ص57.

[3]– شيخي حبيب؛ شرقيهاجر ،تجلياتالمقاومةفيالفنالتشكيليابانالاستدمارالفرنسيللجزائر ،مجلةلغةكلام /مختباراللغةوالتواصل/جامعة غليزان(الجزائر)،م07،ع02مارس 2021، ص305.

بالرغم من التضييق على المجالات الفنية والادبية والاعلامية الا انه كان هناك مجموعة من المثقفين تعبر بأعمالها عن آلام الشعب، وجعلوا من الادب والشعر والفنون التشكيلية وسيلة للتعبير عن المأساة التي عاشها الشعب الجزائري يقول الفنان بابلو بيكاسو: " ان الفن لم يخلق لتزيين الغرف. انه آلة يستخدمها الانسان من اجل الحرب والدفاع ضد الاعداء، وكما بدا لنا من خلال المعارك التي مضت انه على الانسان ان يقاتل كل ما يهدد حرية التعبير"[1]. هذا لا يعني اننا ننفي جانبه الجمالي لكن الابداع فيه تخطى حدود التزيين والمتعة، ليصبح له اهداف أكبر، بعد تشكل الوعي لديه من واقعه المرير ليغوص في همحاولا انتشال وطنه من ظلمة الاستعمار ،ممثلا رسالة نضالية لتحرير امة وقوة روحية ومعنوية لدعم المقاومة، وهنا تبرز لنا علاقته الوطيدة بقضايا المجتمع باختلاف مجالاتها سواء السياسية او الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية وغيرها.

الفنان النزيه هو الذي يعبر بصدق وامانة ليكون الناطق الرسمي لمجتمعه ويصبح فنه مرآة عاكسة لواقعه، فمن خلاله يساهم في احياء الشعور بالمسؤولية ، اتفق الشعب والفنانين على كلمة الحق فاتخذوا من الوطنية شعارا لإنجازاتهم الفنية التي كشفت عن الواقع المرير آنذاك مع السعي نحو التغيير من خلال توعية الشعب وتوحيد كلمتها استعدادا للنضال التحرري[2].

لقد كان الفن ايام الاستعمار مقتصرا على طبقة معينة، مكونة من ابناء المعمرين الاجانب عن البلد. ولم يكن أبناء الجزائر قادرين ماديا على اقتناء لوازم تطبيق الفنون الجميلة، واما القلة التي أسعفها الحظ اعتمدت على وسائلها الخاصة[3]. اما المواضيع التي كانت سائدة كانت تتخذ من المشاهد الطبيعية موضوعات للرسم نظرا لسياسة الاستعمار الرافضة لكل ما له علاقة بالثورة او المقاومة، إضافة الى فرض الرقابة على اعمال الفناين لضمان عدم وجود اي عمل انساني او تحرري، لكن عزيمة ورغبة الفنان الجزائري في رد اعتباره كانت اقوى ففرض نفسه في الساحة متخذا من فنه سلاحا لإعلاء صوت الحق وايصال رسالته النضالية لكل مكان. و برزت روحه الوطنية ومقاومته وتمجيده للثورة في اعماله الفنية التي كان يحاكي من خلالها الواقع المعاش فاضحا بشاعة الاستعمار، معبرا مدى معاناة شعبه وكفاحه المستمر لنيل حريته، هذه من بين المواضيع التي تطرق لها ونذكر ايضا الهوية الوطنية، والآلام، التمييز العنصري، جرائم القتل

[1]– شيخي حبيب، شرفيهاجر،مرجعسابق،ص 305.

[2]–ينظر:عبد الصدوق ابراهيم، الفكر الثوري في الفن التشكيلي الجزائري، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، ص56.

[3]–ينظر: ابراهيم مردوخ، الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 41.

التعذيب، الفقر، من هؤلاء الفنانين: الفنان التشكيلي إبراهيم مردوخ محمد راسم والفنان إسماعيل صمصوم، عمر راسم محمد تمام أمحمد إسياخم محمد خدة مسلي محمود شكري ميلود بوكرش.

يمكننا القول ان الحركة الفنية التشكيلية في الجزائر، هي حركة وليدة وان فناني هذه الفترة قد أبدعوا كثيرا في الاساليب والتقنيات العالمية التي تخص المجال،" الا ان تأثر الفنان الجزائري بمحيطه بات اقوى بحكم الموقع الذي يعيش فيه ومن هنا لا نستطيع فصل تأثره الذي بات اليوم متأثرا بالحركات العالمية وبالفن الغربي بالتحديد "[1].

ان الفنان الجزائري مثل الفنان العربي قد نشأ متأثرا في فنه بالأساليب الحديثة للمدارس الغربية وذلك بسبب نفوذ الثقافة الغربية في البلاد العربية على امتدادها. "ونجد الاتجاهات الفنية السائدة في العالم منتشرة بين الفنانين الجزائريين، فكل منهم ينتمي الى اتجاه معين، ونذكر من هذه الاتجاهات الواقعية، التأثرية أو الانطباعية التعبيرية التكعيبة التجريدية السريالية الفطرية"[2].

[1]-احميدة لخضر مرجع سابق، ص48.

[2]-ابراهيم مردوخ، مرجع سابق، ص44.

المبحث الثاني: نماذج من الفن التجريدي.

خدة محمد:

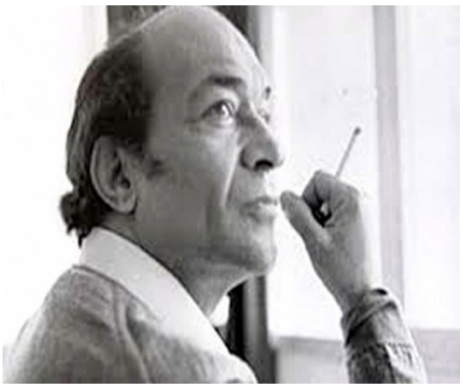

هو فنان تشكيلي جزائري "ولد يوم 14مارس 1930 بمدينة مستغانم بالغرب الجزائري" [1]

لم تكن حياة محمد خده سهلة كونه عاش ظروف قاسية وسط عائله يسيطر على اركانها الفقر :والضياع لتدفعه تلك الظروف الى ترك مقاعد الدراسة مبكرا. عمل في مطبعة لتوفير احتياجات والديه المكفوفين كانت هذه المهنة نقطة انطلاق في حياته الفنية ،حيث ساهمت في صقل مواهبه ومهاراته فجمع بين اتقانه لعمله وحبه للرسم والجمال آنذاك[2]

سخر خدة فنه لخدمة البلاد محاولا ربط المقاومة ببقية المجالات ليجعل من الفن سلاح فعالا ونافعا للمجتمع بدأ بالرسم الواقعي جاعلا من عناصر عمله وسيلة لإثبات الهوية" حيث كتب مقدمه عناصر الفن الجديد التي اعيدت اكتشاف ذاكرتنا من جديد صرح فيها خدة بان والفترات الظلامية التي عاشها الشعب الجزائري والفنان لم تكن دون جدوى، بل صنع تاريخ مجيد ولد على غرار الشعب الجديد بأفكار واسعه شبهها بصحراء الجزائر"[3]

اعتبر خدة رائدا للفن التجريدي فقد شكل اسلوبا متميزا، جاعلا من الحروف عناصر فنية في لوحاته ذات بعد روحاني حيث "ظهرت في لوحاته حروف معانيها أكبر من شكلها" [4]

---

[1]– ابراهيم مردوخ، مرجع سابق، ص 81.

[2]-ينظر :نعيمة عاشور، الرمز والهوية في الفن التشكيلي الجزائري المعاصر "محمد خدة انموذجا"، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، جامعة قسنطينة 3. صالح بوبنيدر، كلية الفنون والثقافة قسم الفنون البصرية وفنون العرض، 2023–2024،ص75.

[3]– المرجع نفسه

[4]-حميدي مبروك، التيار التجريدي في الفن التشكيلي الجزائري (الفنان عزيز عياشين انموذجا) ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفنون التشكيلية ، جامعة ابى بكر بالقايد تلمسان، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون، 2018–2019،ص41

لوحة موريس أودان

محمد خدة لوحة تكريم موريس أودان 1960 زيت على قماش

Mohamed Khadda. Hommage à Maurice Audin. 1960. huile sur toile.

https://www.founoune.com/histoire-de-la-peinture-algerienne-les-artistes-dans-la-guerre-de-liberation-nationale-1955-1965-par-fadila-yahou/

قراءة العمل الفني:

من هو موريس أودين موضوع اللوحة؟

هو من مواليد 1932بباجة التونسية كان أستاذا لمادة الرياضيات بجامعة الجزائر، عرف بنضاله في الحزب الشيوعي الجزائري حاملا لقضية استقلال الجزائر، تم توقيفه من قبل السلطات الفرنسية في 11 (جوان) 1957، واستجوب بفيلا في الأبيار (بالعاصمة) ومنذ ذلك الحين عد في عداد المفقودين في ظروف غامضة .

ثم تبين أنه مدفون مقبرة بن صالح واد العلايق بالبليدة، مع هذا ظل الغموض سائدا حول قضية اختفائه شاغلا الاعلام داخليا وخارجيا لمدة 57 سنة

تم القبض عليه في منزله بسبب دعمه للمقاومة وتوفير ملجأ لأفراد من الحزب الشيوعي ،ليأتي بعد ذلك بيان فرنسي في 24جوان 1957 يبين هروب موريس اودان حين احيل لاستنطاقه ليختفي بعدها دون رجعة

تحول موريس أودان رمزًا للمجاهدين والمناضلين في القضية الجزائرية الذين تم تعذيبهم للحصول على معلومات أو لدفعهم لنكران القضية الجزائرية والانضمام عنوة للجانب الفرنسي.

تم الاعتراف من قبل جنرال فرنسي انه امر بإزهاق روح موريس اودان وتلفيق التهمة للجزائريين[1]

1-ينظر: اعترافاتلحظاتالموتالأخيرةللجنرالأوساريسعنوفاةموريسأوداننسخةمحفوظة 05-06-2022 علىموقعواياكمشين.

هنا نلاحظ ان العناصر التشكيلية التجريدية اتخذت اشكالا هندسية ربما ليوحي إلى العناصر المعمارية للجزائر العاصمة ساحة المعركة التي شهدت الكثير من الانفجارات وتناثر الشظايا فلاحظ ان الموضوع قد تشظى كتشظي التكعيبية التحليلية

توحي العناصر في تشابكها وتبعثرها بعنفوان الثورة أو سخط الجزائريين أو الشعور بالضغط الذي يولد الانفجار جراء ممارسات المستعمر الغاشم أو إلى التفجيرات التي طالت منازل الجزائريين

وحسب تحليل الدكتورة بن عيسى سارة فقد انتقى خدة شكلا عموديا دلالة على الصمود وبناء يحتمل عدة قراءات قد يتخيل المتلقي أنه لحظة انفجار طريق امتزج ترابه بالدم والنار والرماد وتصاعد اللهب والدخان لتختنق المنازل وفي المخطط الخلفي تتراءى فسحة نور ضيقة لافق بعيد قد تشير إلى الامل بعد المقاومة [1]

–الالوان عموما تلائم موضوع الحرب والعنف تتخللها مساحات من الازرق الفاتح ربما كبصيص امل في حل لغز الفقيد المغيب بعد الاستجواب

لاشيء في اللوحة يشير إلى اودان باستثناء العنوان لكن جو العمل العام يوحي بالعنف والدمار والدماء ومجموعة من الأحاسيس التي يصعب وصفها لكن نستشعرها دون فصاحة تشكيلية .

هنا نتوقف عند الفن التجريدي في محاولته التعبير عن مواضيع ثورية علما ان التجريدية تنتمي إلى فلسفة الفن للفن التي ترفض ان يعبر الفن عن قضايا اجتماعية نجد ان الفنان التجريدي يتأرجح بين المحافظة على مبدا الفن للفن والتعبير عن قضايا الساعة

لعل هذا ما يفسر اللجوء إلى البلاغة في العنوان لتوجيه راي المتلقي إلى موضوع يعجز الفن التجريدي عن وصفه أو سرده[2].

[1] ينظر بن عيسى سارة إشكاليات الهوية في الفن التشكيلي الجزائري المعاصر ص 252
[2] ينظر قجال نادية : البلاغة التشكيلية تقييد للحرية أم صحوة فنية مجلة دراسات فنية العدد 01، المجلد 08،ص45

ولكن من جهة أخرى فإن الأسلوب اللا تصويري يستغل في تمرير رسائل في الأوساط المثقفة تصل إلى الرأي العالمي دون جلبة تجلب انتباه السلطات الاستعمارية فاللوحة بكماء لا دلالة مباشرة فيها ولا شكل منها يحاكي أي عنصر يذكر بالواقع ولكن العنوان هو مفتاح الرسالة المؤدي إلى استشعار المأساة في موجة من الصرخات اللونية الثائرة.

فرحات ليلى:

فنانة تشكيلية جزائرية ولدت يوم 1938/06/17بمعسكر،"تخرجت من المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر العاصمة تخصص ديكور عام 1971 ومارست التدريس بنفس المدرسة حتى سنة 1974، ثم استقرت بوهران[1]

حازت على عدة جوائز منها الميدالية الذهبية في معرض ريوم الدولي بفرنسا في 1980 والميدالية الذهبية في بوي اون فيلاي بفرنسا بعد سنتين شاركت في عدة معارض دولية نذكر منها أمريكا اللاتينية وكندا [2]

وحسب براهيم مردوخ تعد ليلي فرحات مدرسة قائمة بذاتها، تتلمذ على يدها العديد من الرسامين لأسلوبها المتميز وأثرها البارز في الساحة الفنية، استوحت مواضيعها من التراث الذي برعت في تصويره، وهي "رسامة واقعية شاركت في عدة معارض ضمها الاتحاد الوطني للفنون في الداخل والخارج "[3] ولكن الصور التي بحوتنا يتجلى منها أن أسلوبها نصف تجريدي

[1]-إبراهيم مردوخ، مرجع سابق، ص 94

[2] ينظر بن عيسى سارة إشكاليات الهوية في الفن التشكيلي الجزائري المعاصر ص 319

[3]-المرجع نفسه.

ومن الفنانين الذين تركت فيهم أثرا طيبا الفنان رشيد طالب الذي وصفها بالسيدة الفنانة العظيمة وشهد أنها تكلمت عنه لصاحبة دار عرض بالعاصمة وهي قالمي زهية التي انتقلت من العاصمة إلى مستغانم لمشاهدة أعماله التي عرضها في مشاركة جماعية بالمدرسة الجهوية للفنون الجميلة محمد خدة ومنذ ذلك الحين انفتحت دار الكنز رشيد أمام رشيد طالبي [1]

توفيت في جويلية 2020"عن عمر ناهز 81سنة ودفنت بمقبرة عين البيضاء بوهران "[2]

لوحة قصف

فرحات ليلى لوحةقصف ،مؤرخة سنة 1991ألوان زيتية على القماش

المصدر: متحف الفنون الجميلة الجزائر العاصمة من تصوير الباحثة بن عجمية أمينة

[1] المرجع نفسه الصفحة نفسها

[2] - زعنون عبد المومن ،الفن التشكيلي الجزائري النسوي واشكالية الطابوهات، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفنون التشكيلية ،جامعة ابي بكر بلقايد ، كلية الآداب واللغات ،قسم الفنون ،2021-2022،ص 40

قراءة العمل الفني:

إن التذكير بجرائم الاستعمار هو أيضا نوع من المقاومة مع أن اللوحة رسمت بعد الاستقلال سنة 1991 إلا أنها مثال على تكريس الفن لمواصلة إدانة الاستعمار في المنابر المحلية والدولية والأوساط الثقافية فالجزائري لا ينسى قرنا وثلث قرن من السلب والنهب والقتل والتجويع والتعذيب والترويع ولا ينس قنابل النابالم التي قصفت مساكن الأهالي وأحرقت الاطفال والشيوخ والنساء. يقول العربي بن مهيدي رحمه الله "أعطونا طائراتكم المقنبلة نسلمكم قففنا "[1]

جاءت لوحة قصف للفنانة ليلى فرحات بتركيب عمودي بقالب تجريدي تداخل فيه الشكل واللون تعبر عن مشهد معين دون التقيد بالشكل الواقعي .

اللوحة تعتبر من الفن الذي استخدم للمقاومة ونستشف ذلك من خلال عنوانها الذي يوجهنا بشكل آلي للتفكير في المقاومة والعنف فتذهب أبصارنا مباشرة إلى الشكل الدائري المشع الذي يحتل الجزء العلوي للوحة ويبدو شاذا وسط البناء الهندسي القائم على مربعات ومكعبات تذكرنا في تراصها وتشظيها بالتكعيبية التحليلية التي انحرفت إلى التجريد تتخللها أشكال يخيل للمتلقي وكأنه يشاهد عبر تلك الشظايا المكعبة الشفافة مثل مرآة محطمة جبلا في سفحه كوخ متهاوي مدخله مظلم على سفحه ثلج وبه مدخنة وكأنه منظر طبيعي مموه بشبكة من الخطوط الهندسية المتقاطعة

لكن يبقى السؤال مطروحا من الناحية اللونية فالألوان هنا يغلب عليها الانسجام والنضارة وتدرجات الأزرق والبنفسجي في تناغم جميل يشعر العين والنفس بالراحة والجمال بدل الألوان المستعملة عادة في التعبير عن العنف والقصف والنار والانفجار إذ نلاحظ من الألوان الحارة فقط بعض اللمسات من اللون الأصفر الفاتر الذي يتدرج إلى الاخضرار و لمسات قليلة موزعة بتوازن على مساحة اللوحة من اللون البرتقالي الفاتر وهذه الألوان لا تعكس عنوان اللوحة بقدر ما تضفي المزيد من التناغم والتناسق اللوني الذي يكسب المشهد الشعور بالارتياح والهدوء

[1] https://www.youtube.com/watch?v=3NvsZFV6lsY

لا نجد تفسيرا لهذا الانفصام بين العنوان وسيميائية الألوان فلعل الرسامة لم تستطع سلخ ذوقها وميولها لهذه الألوان في تعبيرها عن موضوع عنيف أو لربما عمدت إلى هذا الأسلوب للتعبير عن الأمل والأحلام التي لم تستطع فرنسا سلبها من نفسية شعب مقاوم متمسك بالحياة رغم القصف والدمار أم تراها أرادت وصف جمالية وسكون الطبيعة والحياة التي حاولت فرنسا تدميرها .وعلى عكس لوحة محمد خدة تكريم موريس أودان نسجل اختلافا في الشكل واللون مما يصنع التفرد لكل عمل .وتتفق معه في توجيه المتلقي عبر العنوان كي يقتفي أثر الفرشاة ويدقق في الأشكال البكماء لعلها تمنحه إشارة تتقاطع مع العنوان .

و أما الخطوط البناء فتظهر بشكل متقطع ومتقاطع وسمك رفيع حدا ولون رمادي داكن يدعم الأسلوب التجريدي الهندسي القريب من التكعيبية التحليلية كما أسلفنا الذكر .

المبحث الثالث: نماذج من الفن التعبيري

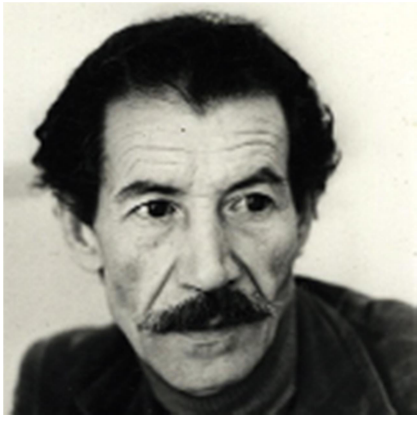

أمحمد اسياخم :

ولد سنة 1928بدوار جناد بالقبائل الكبرى ثم انتقل رفقة والده للعيش في غليزان بعيدا عن والدته وكان والده مسيرا لحمام شعبي. وكان هذا المكان بمثابة المدرسة الشعبية التي تشبع منها امحمد إيسياخم بالثقافة الشعبية المحلية للقبائل العربية من حكم شعبية وقيم روحية حيث امضى صباه في هذا المحيط الحيوي ، ولما التحق بالمدرسة الابتدائية تفاجأ في يوم من الأيام أثناء عودته للبيت بقدوم والدته ونظرا لطول مدة الفراق لم يتعرف عليها للوهلة الأولى ، وذات يوم تسلل إلى معسكر للجيش الأمريكي الذي حل بالبلاد وسرق قنبلة يدوية وعاد بها إلى البيت ومن باب الفضول اعتبرها بمثابة اللعبة وراح يعبث بها مع إخوانه فانفجرت في ساحة البيت وتسببت شظاياها في مقتل ثلاثة أطفتا من عائلته من بينهم شقيقته بينما فقد هو ذراعه بالتقسيط المضنى إذ تطلب علاجه عدة عمليات في كل مرة يبتر جزء من ذراعه فكان عاما عصيبا ولعل التسلية الوحيدة تمثلت في ممارسته للرسم في المستشفى مع الإشارة أنه كان موهوبا في رسم الصور الشخصية أي البورتريه ونال جائزة احسن

بورتريه للرئيس الفرنسي آنذاك فيليب بيتان سنة 1942 كما كان يرسم صور زعماء النضال الثوري الجزائري .[2]

و تعتبر نقطة التحول في حياته التي لا يمكن تجاوزها تلك الحادثة الأليمة التي أحدثت في نفسه أثرا أشد ضررا من أثر بتر يده ما انفك يكررها الفنان قولا ورسما ، وهي حادثة صد والدته له عند عودته للبيت من المستشفى ليتفاجأ ان شقيقته قد توفيت وأن والدته تنبذه كونه صار معاقا وجانيا

والجملة التي ترسخت في وجدانه هي اخرج فلم الدك هكذا مشيرة بيدها إلى ذراعه وهنا غادر إلى غير رجعة إلى الجزائر العاصمة على متن القطار

وهناك انفتحت امامه افاق الفن الجميل حيث التحق بمدرسة الفنون الجميلة في البداية كان مولعا بالرسم المحاكي للواقع والصور الشخصية لكن حين سافر إلى فرنسا والتحق بأكاديمية الفنون

يعتبر امحمد اسياخم من بين المبدعين الذين كرسوا فنهم لخدمة الوطن حيث جمع بين الابداع والمقاومة لتصبح امرا اساسيا في حياته ،لنجد الوضع القاسي في بلاده وطفولته البائسة تنعكس مباشرة على اعماله الفنية وكانت جل اعماله تضج بمشاعر البؤس والآلام .

كان للمرأة حيز خاص في انتاجاته الفنية يمكن لسبب فقدانه اخته او حرمانه من امه ،"فحياته كانت صورة مصغرة لمعاناة الشعب في تلك الفترة "[3] لتزيد اعماله دفعة نحو التفوق وقوة في التعبير .

[2] ينظر بن عيسى سارة إشكاليات الهوية في الفن التشكيلي الجزائري المعاصر رسالة ذكتوراه في نقد الفنون التشكيلية جامعة مستغانم 2023-2024 260

[3]– حميدي مبروك ،مرجع سابق ،ص46

لوحة الجزائر

أمحمد اسياخم (1959-1960)الجزائر1960 تقنية مختلطة زيت على قماش وملصقات الجرائد

المصدر: متحف الفنون الجميلة الجزائر العاصمة

قراءة للعمل الفني :

اعتمد الفنان امحمد اسياخم على تكوين عمودي في لوحة الجزائر ،بأسلوب تعبيري ترجم من خلاله الوضع البائس والمزرى للوطن الأم نتيجة القهر و الدمار الذي خلفه المستدمر الفرنسي فرسم اما وولديها الأم ترمز للوطن وترتدي الزي التقليدي البسيط والولدان هما أبناء الجزائر أي

الشعب ، تقف مهمومة صامدة وخلفها تكوين شبه تكعيبي ولعل هذا ما أدى إلى الخلط في تصنيف عمل الفنان ضمن المذهب التكعيبي ولكن في الحقيقة استلهم من التكعيبية أحادية الالوان والرماديات الملونة بأسلوب تعبيري متفرد يغلب عليه الطابع الخزين المفجوع .وهو شعور لازم الفنانين التعبيريين الأوربيين أثناء الحرب العالمية فباتت الحياة في نظرهم مجموعة من الفواجع والآلام .

يطغى اللون البني الرمادي بتدرجاته نحو الأمغر على اللوحة ليوحي بالاضطراب والقلق و يدعم موضوع الوطن المتعب الذي أنهكته الحرب لدعم الشعور بالبعد الدرامي والمأساة السائدة وأضاف لمسات صغيرة من اللون الازرق الرمادي تكسر وحدة اللون الكئيب لا تبث في نفس المشاهد نوعا من الاطمئنان بإمكانية تحسن الاوضاع أ و تزرع بذرة امل في النفوس بقدرما تمنح العمل سحرا وجمالا نتذوقه رغم كآبة المشهد وتدمغه بدمغة الفنان فتعرف على عمله بين مئات الأعمال من الوهلة الأولى .

شكل لنا الفنان هذا العمل بتركيب شبه هرمي بتقنية مختلفة حديثة نوعا ما مزج فيها بين الالوان واجزاء من الورق والجرائد . وتقنية الكولاج كما نعلم تعود لمرحلة التكعيبية التوليفية وهذا أيضا ما استند إليه من صنفوا أسلوب الفنان ضمن التكعيبية ولكن رغم التقنية المختلطة فإن العمل تعبيري بامتياز

في جو طغى فيه ترجمة عدد من المشاعر كالشعور بالقهر والظلم والالم وعدم الاستقرار تحتل شخصية الأم وسط اللوحة بشكل جانبي تتأمل الأفق البعيد تفكر في المستقبل تقف بجانبها البنت يمينا والولد يسارا في بناء قوي و توحي ملامح الام رغم شبه التجريدية أنها تحمل هموما كثيرة وهنا تكمن براعة الفنان الذي أتقن فن البورتريه قبل أن يتجه إلى نصف التجريد

.

نشعر من خلال العمل وكأن امحمد اسياخم يصف صمود المرأة والشعب الجزائري عامة في وجه الاستعمار ،فبرغم العنف والتعذيب الذي يتعرضون له والدمار وغياب الامن الا اننا نجد المرأة واقفة بكل شموخ وثبات فهي السند ومصدر الامن لأطفالها

هنا نجد الفنان في اغلب اعماله يصور المرأة الجزائرية لأنها في الواقع تألمت ،فنجد هذا الاخير يعظم المرأة لشجاعتها في تحدي ومجابهة الاستعمار .

وكأن الفنان في اعماله الفنية يستحضر شخصيات حقيقية من المقاومة ، فنجد في معظمها المرأة منذ محاكمة ملهمته جميلة بوحيرد فتأثر بذلك واشتغل على بث تصاويرها الخاصة بالمعاناة .

يقول إسياخم أن شخصياته كلها معذبة وأن شخصياته عانت كثيرا وهو بهذا لا ينفك يذكر بجرائم الاستعمار التي ألحقت بالشعب وبه هو شخصيا أضرارا جسدية ونفسية دائمة وجرحا لا يندمل وهذا يفسر الأسلوب التعبيري المتبع والمتميز بألوانه الحيادية الحزينة وموضوعاته الكئيبة كآبة المفجوع الذي فقد يده و أفرادا من عائلته وفقد حنان والدته وفقد دفء العائلة والشعور الدائم بالذنب والوحدة وقسوة العبارة التي حفرت عميقا في نفسه وهي عبارة " إذهب فلم الدك هكذا أي لم الدك معاقا" التي سمعها من والدته في أضعف حالاته وأحوجها لحضن أمه وعائلته ، هي ام مفجوعة وهو ابن ضحية لاستعمار اباح بتواجد المعسكر الأمريكي مصدر البلاء الذي حل بالعائلة والوطن .[4]

كان أمحمد اسياخم من بين الفنانين الذين صوروا بشاعة الاستعمار ومخلفاته في نفوس بإبداع وتميز الشعب وكذا على المستوى المادي ،فكانت اعماله عبارة عن شاهد لما حصل [5]

[4] ينظر بن عيسى سارة إشكاليات الهوية ... م س

[5]- ينظر :آيت سعدي تركية ،نضال الفنان التصويري الجزائري ابان الاستعمار الفرنسي ،دراسات فنية مخبر الفنون والدراسات الثقافية جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان ،م06 ،ع1 ،2021،ص7

ابراهيم مردوخ :

ولد سنة 1938 بغرداية ،تخرج من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ليعمل بعد ذلك استاذا للرسم وكذا عمل كناقد فني في الصحف والمجلات الجزائرية .

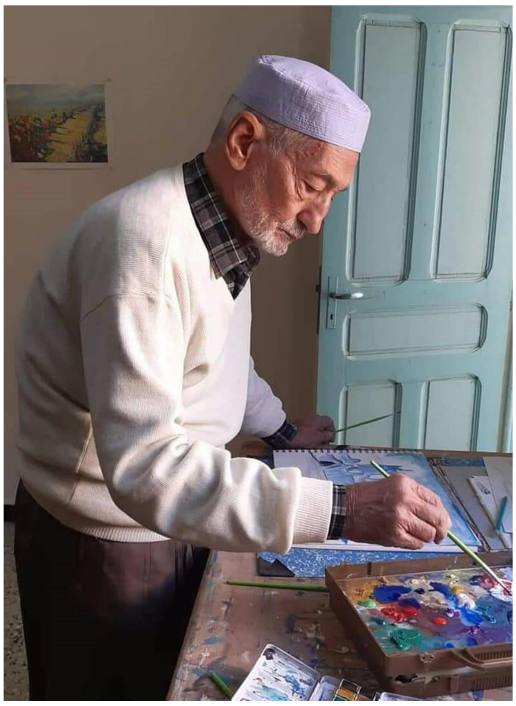

اتسم اسلوبه بالتقلب بين التعبيرية والتكعيبية وشبه التجريد ،كان نشطا في العديد من المعارض داخل وخارج الوطن امتلك المتحف الوطني للفنون الجميلة بالجزائر عدد انتاجات له وعند الكثير ممن يجمعون الاعمال الفنية[1]

اعتبر من المساهمين في دعم الثورة حيث عالج موضوع الثورة التحريرية في عدت اعمال له نذكر منها لوحة الشهداء وارملة الشهيد.

[1]-ينظر :ابراهيم مردوخ ،مرجع سابق ،ص99

لوحة أرملة الشهيد

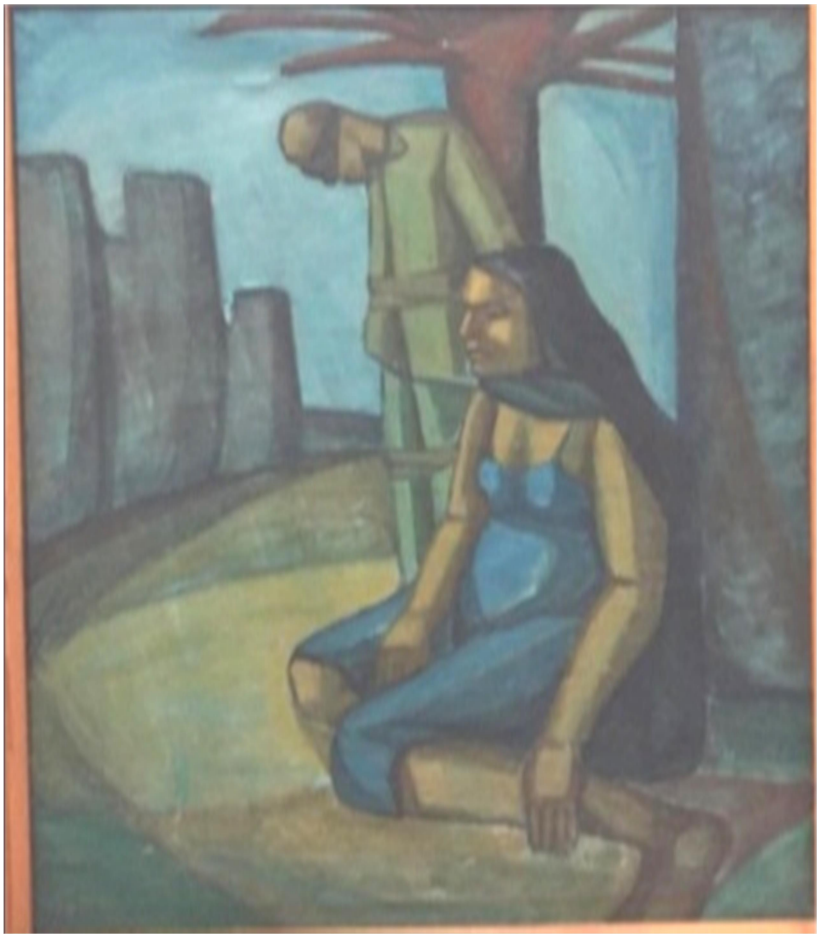

ابراهيم مردوخ ،لوحة ارملة الشهيد ،زيت على قماش

المصدر: متحف الفنون الجميلة الجزائر العاصمة

قراءة العمل الفني :

استند الفنان ابراهيم مردوخ في عمله الفني على تكوين عمودي ،يعبر لنا من خلاله عن المعاناة ومقدار الحزن والخذلان السائد آنذاك فنجده يصور لنا المرأة بشكل جانبي جالسة أرضا مذهولة وكأنها بلا روح شاردة جسما عبوسة وجها بملابسها الداخلية مكشوفة

الذراعين والصدر وهذا ليس تمثيلا للعري إنما للدلالة على التجرد من السند والترمل وفقدان الزوج ففي العقيدة الرجل لباس للمرأة يحميها ويسترها فتظهر عليها ملامح الحزن والتعاسة وكل انواع الهموم .في جو بائس تدعمه باليتة الوان معتمة عتمة الظلم الاستعماري وحزن الفقد والشعور بالقهر

وفي جاء في تحليل للدكتور براهيم عبد الصادوق لهذا العمل :" نرى في خلفية اللوحة صورة الشهيد مشنوقا بجانبه امرأة جاثية على ركبتيها في الارض تبدو وكأنها زوجته[1]،عموما يذكرنا هذا العمل "بإعدام الفنان الجزائري **علي معاشي** بولاية تيارت شنقا في شجرة بالشارع ،يوم 8جوان 1956 والذي يعد عيدا للفنان بالجزائر"[2]

يرمز الشهيد وهو مشنوق ومربوط على الشجرة لتفانيه في سبيل الوطن اما الارملة يوضح لنا شكلها البعد النفسي والاحساس الناتج عن تلك الجرائم المرتكبة .

تبنى ابراهيم مردوخ في هذا العمل الفني الاسلوب التعبيري الذي ميزته خطوط منحنية او عشوائية احيانا تبدو وكأنها للدلالة على العفوية والتعبير الصادق للواقع المعاش ،تخلله بعض الزوايا الحادة ربما لتعبر عن القلق والجو المتوتر تبدوا ملامح الشخصيات شاحبة منهكة في جو غلب عليه شعور القهر والذبول بسبب القمع.

اما الالوان فنجد الفنان قد مزج بين درجات من البني والازرق والاخضر مشكلا للعين مشهدا صامتا شبه جامدا غلب عليه الكتمان والحزن وكأن القلوب فيه تصرخ دون ردود مباشرة

[1]- ينظر: عبد الصدوق ابراهيم ،مرجع سابق ،ص 61

[2]–المرجع نفسه.

المبحث الرابع :نموذج من الفن التصغيري

محمد راسم :

هو فنان تشكيلي جزائري ولد سنة 1896م في القصبة التر استوحى منها معظم اعماله ترعرع في جو فنى لاهتمام اهله بالفن كانت بدايته مباشرة بالزخرفة والتلوين على الخشب ،تلقى تعليمه في الورشة العائلية هناك حيث اكتشف اسرار المنمنمات واسسه الجمالية

فانجذب لها وابدى قدرة هائلة في الفنون التشكيلية رغم صغر سنه[1].

عمل استاذا في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالعاصمة ،ومع انه درس في المدارس الفرنسية الا انه بقي متمسكا بأصله وابى ان يخضع للاستعمار الغاشم بحيث جعل من ابداعاته الفنية وسيلة معبرة لرفض الاستعمار واداة لتوعية الشعب وحفظ تراثه [2]

سعى هذا الاخير الى احياء فن المنمنمات وفرض وجوده في الساحة الفنية كنوع من الفنون الاسلامية الاصيلة والتي تجسد الهوية والتراث ،صور الحياة الهادئة التي كان يعيشها الشعب الجزائري قبل الاستعمار كلوحة ليالي رمضان او عرس جزائري [3]"وتعتبر اللوحة التصغيرية عند راسم وسيلة يضمنها افكاره الثورية ورسالته التى يتركها للأجيال اللاحقة "[4].

---

[1]-ينظر :نجاة عروة ،من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر ،دحلب

[2]– ينظر: متاحفالجزائر،سلسلة الفن والثقافة ،ص61

[3]–ينظر:شيخي حبيب ،شرقي هاجر ،مرجع سابق،ص306

[4]–ابراهيم مردوخ،مرجع سابق ،ص21

لوحة ليالى رمضان:

محمد راسم لوحة ليالي رمضان قواش على ورق

المصدر: https://x.com/ItisSART/status/1766888425750216723

قراءة العمل الفني:

جاءت اللوحة في شكل عمودي وصف فيه الفنان محمد راسم اجواء شهر رمضان في احياء الجزائر ، حيث يتضح لنا التجمع العائلي سواء في الافطار او بعد التراويح هاته اللمة التي تميز اهالي في شهر رمضان ،نلاحظ وجود اشخاص من مختلف الاعمار اطفال كبار وصغار رجال ونساء تحت اضواء خافتة تنبع من المصابيح الزيتية و القمر في جو تسوده الراحة والامان.

نجد في هذا العمل جملتين بالعربية اسفل اللوحة الاولى كتب عليها (حومة محمد سيدي الشريف) والجملة الثانية الموجودة داخل الشريط الزخرفي عليها (ليلة النصف من رمضان في الجزائر)، يحمل هذا العمل توقيع محمد راسم بالون الاصفر على جانبي الجملتين السابق ذكرهما واحد بالفرنسة والاخر بالعربية .

صور الفنان عناصر ثابتة كالبنايات واخرى كالأشخاص في حركية ضمن جو نشط و دافئ يرتدون ملابس تقليدية جزائرية (حايك ،البرنوس، عمائم ،جلاليب ...) ،اما البنايات وكأنها مستوحات من العمارة الاسلامية بأقواسها وشبابيكها ،في اعلى اللوحة تراءى البحر والسماء والقمر ربما للدلالة على الفرح والبهجة .

استخدم الالوان الدافئة كلاحمر، البرتقالي والوردي ، الاصفر والذهبي موازنا بينها وبين الالوان الباردة، الازرق السماوي والفاتح على اسطح المباني والاخضر والبنفسجي .

كل هذا نجده محاط بايطار زخرفي ذهبية توحي انه من الفن التصغيري (المنمنمات)،لقد ابدع في هذا العمل فكانت عناصر اللوحة منسجمة والوانها متناسقة اضافة الى حفاضه على قواعد الزخرف[1]

راسم ربما لم يرد فقط إظهار لنا اجواء رمضان في الجزائر بل نجد في هذا العمل مقاومة ثقافية للاستعمار الذي كان على ادراك تام لمدى خطورته ،فنجد بعد توثيقي تفي لوحته مثل في تصويره اللباس التقليدي ،كما يرسخ لمبادئ الامة الاسلامية وهي التعاون والتكافل وروحانية هذا الشهر الكريم للحفاض على الهويةالتي حاول الاستعمار طمسها .

[1]- ينظر: حمادي عبد الله ؛نجادي محمد أمين ،جماليات التكوين في أعمال الفنان الجزائري محمد راسم ،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفنون البصرية تخصص نقد فنون تشكيلية ،جامعة عبد الحميد بن باديس –مستعانم ،كلية الادب العربي والفنون ،قسم الفنون ،2021-2022،ص 24 -25-26.

خلاصة:

ويمكن القول إن الفنان التشكيلي الجزائري، رغم محدودية الإنتاج الفني خلال فترة الاستعمار، قد أسهم بشكل فعّال في دعم المقاومة من خلال التعبير الصادق عن معاناة شعبه وطموحاته. فقد واجه الفنانون ظروفًا قاسية تمثلت في القمع، والخوف، والمشكلات الاجتماعية، لكنهم لم يترددوا في توظيف أدواتهم الفنية للتنديد بالظلم الاستعماري وكشف جرائمه، مما جعل من أعمالهم مرآة تعكس الواقع الأليم وروح التحدي.

لقد كان ارتباطهم الوثيق بالشعب واضحًا في لوحاتهم، حيث نبضت أحاسيسهم بآلامه وخفقت قلوبهم بآماله، فتحوّل الفن إلى وسيلة للتوعية والتحريض، وجسرٍ بين المثقف والمجتمع، ومجالٍ لترسيخ الهوية الوطنية ومقاومة طمسها. وبذلك شكّلت مساهماتهم بُعدًا رمزيًا وثقافيًا مهمًا في النضال من أجل التحرير.

الخاتمة

وفي الختام نشكر الله عز وجل الذي وفقنا في انجاز هذه الدراسة المتواضعة والذي بارك لنا في الوقت وسهل علينا اتمام هذا العمل ،كما اتمنى ان اكون وفقت في الامام بعناصر البحث واجبت عن الاشكالية المطروحة في المقدمة .

الانسان في حاجة دائمة للتعبير عما يختلج نفسه وما يدور حوله من حوادث وقضايا وذلك باستخدام وسائل مختلفة احيانا ما يتخذ من تلك الوسائل ادوات للصراع مع الواقع ولفرض الوجود وهذا ما تطرقنا له في دراستنا فبعدما كان الفن موجود منذ القدم لتسجيل الحياة كيف كانت وتعريف الاجيال القادمة بها واستخدامها لأغراض جمالية تزيينيه حاولنا تسليط الضوء على جانب آخر مهم ابرزنا من خلاله اسهامات الفن التشكيلي في مقاومة الاستعمار واتخاذ نماذج من اعمال الفنانين وتحليلها من خلالها تعرفنا على مجموعة من الفنانين الذين اتخذوا الفن وسيلة للمقاومة وكذا كيفية تشكيل الوعي لدى الشعب او من خلال التوثيق للثورة والتعريف بالمجازر المرتكبة في حق المواطنين مع السعي الى ترسيخ العادات والتقاليد والتعريف باللباس والحفاظ بشكل عام على الهوية والثقافة ،في حين كان يحاول المستعمر الفرنسي نشر ثقافته والقضاء على كيان المجتمع الجزائري وطمس هويته .

وفي الاخير نقول ان الفنان التشكيلي الجزائري قد وفق الى حد كبير في تبليغ رسالته وايصال قضايا وطنه دون تهاون ،لتكون اعماله خير دليل على ما عايشه وشاهد على ثقافته وتراثه وأصالته.

يُعد الفن التشكيلي مرآة الشعوب وذاكرتها التاريخية، فقد ارتبط منذ القدم بالإنسان وهمومه وطموحاته. وفي الجزائر، لم يكن الفن مجرد وسيلة للتعبير الجمالي، بل تحوّل خلال فترة الاستعمار الفرنسي (1830–1962) إلى سلاح مقاومة، عبّر من خلاله الفنانون عن معاناة الوطن، وخلدوا بطولات شعبهم، وحافظوا على الهوية الثقافية الجزائرية يعرض هذا البحث دور الفن التشكيلي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي، من خلال استعراض استراتيجيات المستعمر، وتحليل أعمال فنية شكلت وعي الجماهير، وأثبتت أن الريشة كانت إلى جانب السلاح والقلم في معركة التحرير

ان الهدف من دراسة هذا الموضوع وبالدرجة الاولى هو تسليط الضوء على الفن التشكيلي وما له من دور كبير في مساندة الثورة التحريرية فهو لا يقل اهمية عن الدفاع بالسلاح او القلم كونه مثل الجانب الثقافي الذي كان اخطر واستمرت تأثيراته حتى بعد الاستقلال والذي استهدفه المستعمر بشكل واضح لتحطيم المجتمع الجزائري . وضرب قيمه واصالته محاولا طمس الهوية التعرف على اهم فناني الثورة وتحليل الاعمال لاكتشاف اهم الرموز والدلالات التي استخدموها للتعبير عن قضية وطنهم وكذا كيفية . المساهمة في التوعية والتأريخ للثورة والحفاظ على الهوية التأكيد على اهمية الفن

حاول الاستعمار الفرنسي القضاء على الإسلام لضرب جذور المقاومة الجزائرية، فاعتمد سياسة دينية منظمة تمثلت في: محاولة تنصير الجزائريين واصطحاب القساوسة مع الحملة. هدم المساجد والزوايا وتحويلها إلى كنائس وثكنات. مصادرة الأوقاف وتعطيل المؤسسات الخيرية والتعليمية الإسلامية. التضييق على القضاء الإسلامي وتحويله لخدمة مصالح الاستعمار. كان الهدف من كل هذه السياسات طمس الهوية الدينية الإسلامية للمجتمع الجزائري وخلق شعب منفصل عن عقيدته، مما يكشف الوجه الصليبي للمشروع الاستعماري..

سعت فرنسا إلى السيطرة الكاملة على الجزائر، عبر: إلغاء السيادة الجزائرية وضمها لفرنسا. فرض قوانين عنصرية كقانون الأهالي. قمع الحركات الوطنية ومنع أي نشاط سياسي. اقتصاديا الاستيلاء على الأراضي الزراعية ومنحها للمستوطنين. تدمير الاقتصاد المحلي والصناعات التقليدية. استنزاف الثروات وتحويل الجزائر لسوق تابعة لفرنسا. بهذا حولت فرنسا الجزائري إلى غريب في وطنه مسلوب الحقوق والثروات".

الاستعمار الثقافي سعى الاستعمار الفرنسي إلى طمس الهوية الجزائرية عبر: تخريب التعليم العربي الإسلامي ومصادرة الأوقاف. محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي وفرض الفرنسية. تفكيك وحدة المجتمع باستغلال التنوع العرقي وتشويه التاريخ. هدف الاستعمار كان ضرب الهوية والسيطرة على العقول.

سعى الاستعمار الفرنسي إلى طمس الهوية الجزائرية عبر: تخريب التعليم العربي الإسلامي ومصادرة الأوقاف. محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي وفرض الفرنسية. تفكيك وحدة المجتمع باستغلال التنوع العرقي وتشويه التاريخ. هدف الاستعمار كان ضرب الهوية والسيطرة على العقول.

استخدم الفن الفرنسي كوسيلة ناعمة لترسيخ الاستعمار في الجزائر، من خلال: تزييف الواقع عبر لوحات تمجد الجيش الفرنسي وتشوه صورة الجزائريين. تشويه المرأة الجزائرية وتصويرها بطرق مبتذلة لا تمثل المجتمع المحافظ. الدعاية للاستيطان عبر تصوير الجزائر كأرض شرقية خلابة تستحق السيطرة. التجسس الفني بجمع معلومات اجتماعية وجغرافية من خلال أعمال ظاهرها جمالي وباطنها استعماري. الفن الاستشراقي خدم الاستعمار أكثر مما خدم الجمال.

تتمثل القيمة المضافة لهذا البحث في إبراز دور الفن التشكيلي الجزائري كوسيلة نضالية فعّالة في مواجهة الاستعمار الفرنسي، حيث لم يقتصر دور الفنانين على التعبير الجمالي، بل تحوّل فنهم إلى أداة توثيق للمأساة ومقاومة للطمس الثقافي والهوية الوطنية كما تميز هذا البحث بتحليل مجموعة من الأعمال الفنية التي لم يسبق دراستها أكاديميا من قبل، وهي أعمال عثرت عليها خلال زيارات ميدانية للمتحف الوطني للفنون الجميلة بالجزائر، حيث وجدت أن الكثير .. منها يحمل في طياته رموزًا ومعاني مرتبطة بالمقاومة، لكنها لم تحظ باهتمام كاف في الدراسات السابقة وإدراكا لأهمية

نتائج وتوصيات توثيق ودراسة الأعمال الفنية التشكيلية ذات الطابع المقاوم، خاصة غير المدروسة سابقا تشجيع البحوث الأكاديمية حول علاقة الفن بالنضال الوطني إدراج نماذج من الفن المقاوم في المناهج التعليمية لتعزيز الهوية الوطنية تنظيم معارض خاصة بالفن التشكيلي المقاوم ونشر الوعي بأهميته رقمنة الأعمال الفنية القديمة لحفظها وتسهيل الوصول إليها دعم الفنانين والباحثين المهتمين بالفن والمقاومة ماديًا وأكاديميا تشجيع إنتاج أعمال فنية معاصرة تستلهم روح المقاومة الوطنية

حيث استخدم الفنانون أعمالهم كوسيلة نضالية لتوثيق معاناة الشعب والتعبير عن رفضهم للاضطهاد. رغم التضييق الاستعماري برز فنانون مثل محمد راسم وأمحمد إسياخم، فجعلوا من فنهم صوتا للحرية والهوية الوطنية، معتمدين على أساليب ومدارس فنية متنوعة، لكن بروح مقاومة تعبر عن الواقع الجزائري وتفضح الاستعمار.

في ختام هذا البحث، تبين أن الفن التشكيلي الجزائري لم يكن مجرد تعبير جمالي، بل تحوّل إلى وسيلة مقاومة فعّالة ضد الاستعمار الفرنسي. فقد استغل الفنانون أعمالهم لتوثيق معاناة الشعب. والتعبير عن قضاياه الوطنية، مما ساهم في تعزيز الوعي الجماعي والحفاظ على الهوية الجزائرية في وجه محاولات الطمس الثقافي التي مارسها الاستعمار. وهكذا، أثبت الفن التشكيلي دوره الريادي في دعم الكفاح التحرري، وكان شاهدا على نضال شعب وثقافته الأصيلة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

1. ابراهيم مردوخ، الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
2. ابو القاسم سعد، الله تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ج3،ج 4 ، ج 6،ج 8، ط1،1998.
3. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي، ج1،ج2 ، ج3،ط 1، 1992.
4. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،بيروت، دار الغرب الاسلامي ، ط1، 1997.
5. عميراوي أحميده، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830.1954) ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954،الجزائر 2007.
6. نجاة عروة، من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر.

الرسائل الجامعية:

1. أحميدة لخضر ،مراحل نشوء وتطور المدارس الفنية في الجزائر ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفنون التشكيلية ،جامعة ابي بكر بلقايد –تلمسان الجزائر ،كلية الآداب واللغات والفنون ،قسم الفنون ،2018–2019.
2. باحمان فاطمة، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830–1852، بحث مقدم لاستكمال متطلبات شهادة الماستر تخصص حديث ومعاصر ،جامعة ادرار ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية ،2013_2014 .
3. بن عزة احمد، الفن التشكيلي الجزائري المعاصر قراءة دلالية لبعض النماذج الفنان بلعباسي نبيل نموذج، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في دراسات في الفنون التشكيلة، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان . الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون، 2016–2017.
4. بن عيسى سارة إشكاليات الهوية في الفن التشكيلي الجزائري المعاصر رسالة ذكتوراه في نقد الفنون التشكيلية جامعة مستغانم 2023-2024
5. حبيبة بوزار ، مكانة الفن التشكيلي في المجتمع الجزائري ،اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الفنون ،جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية وعلوم الاثار ،قسم التاريخ ،2013– 2014.
6. حميدي مبروك، التيار التجريدي في الفن التشكيلي الجزائري (الفنان عزيز عياشين انموذجا) ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفنون التشكيلية ، جامعة ابى بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون، 2018–2019.
7. زعنون عبد المومن ،الفن التشكيلي الجزائري النسوي واشكالية الطابوهات، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفنون التشكيلية ،جامعة ابي بكر بلقايد ، كلية الآداب واللغات ،قسم الفنون ،2021–2022.
8. زويدي نهاد، دريسي سلمي، الأوضاع الاجتماعية والثقافة ابان الثورة الجزائرية (1954–1962)،مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة 08ماي 1945–قالمة– كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ ،2019 –2020.
9. عمارة سامية ،بلبراهيم نورية ،جمالية الفن التشكيلي في الجزائر تجربة الفنان اسماعيل صمصوم –انموذجا – مذكرة تخرج مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر ،جامعة عبد الحميد بم باديس مستغانم ، كلية الادب العربي والفنون ،2020 – 2021.
10. مباركي فاروق؛ زرفاوي شوقي، النزعة التكعيبية في الفن التشكيلي الجزائري اسماعيل صمصوم" انموذجا"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفنون التشكيلة، جامعة ابو بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون، 2019م/2020م.

11. محمد الحاكم بن عون، المسألة الدينية في الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسي (1830-1954م) ، اطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، جامعة باتنة -كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2018-2019 .
12. مولاي عمار مريم؛ دليمي ابراهيم، القوانين الاستثنائية الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على الشعب الجزائري 1830-1881، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة العقيد احمد دراية ادرار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم العلوم الاسلامية، 2021-2022.
13. نعيمة عاشور، الرمز والهوية في الفن التشكيلي الجزائري المعاصر "محمد خدة انموذجا"، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، جامعة قسنطينة 3 صالح بوبنيدر، كلية الفنون والثقافة،قسم الفنون البصرية وفنون العرض، 2023-2024.
14. يوسفي فاطمة الزهراء؛ بن على عائشة، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر بداية الاحتلال الفرنسي من خلال كتاب المرآة، مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في تاريخ، تخصص : تاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة احمد دراية ادرار . الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم العلوم الانسانية، 2020-2021.

المجلات والجرائد:

1. ابراهيم سعد الشاكر، التنوع الثقافي في الجزائر: التعايش مع الاختلاف، مجلة معالم، المجلد 15، العدد 02، السداسي الثاني سنة 2022، جامعة يحي فارس . المدية. الجزائر.
2. احمد وادي، السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والامن الهوياتي في الجزائر، مجلة الناقد للدراسات السياسية، ع02، افريل 2018 ، ص302.
3. اعترافات لحظات الموت الأخيرة للجنرال أوساريس عن وفاة موريس أودان نسخة محفوظة 2022-06-05 على موقع واي باك مشين.
4. آيت سعدي تركية، نضال الفنان التصويري الجزائري ابان الاستعمار الفرنسي، دراسات فنية مخبر الفنون والدراسات الثقافية، جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان، م06، ع01،(2021).
5. بلقاسم ميسوم، سياسة فرنسا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال الفترة 1930.1954،مجلة علوم الانسان و المجتمع، جامعة بسكرة، الجزائر،ع06،جوان 2013.
6. بحوص شاهيناز، القوانين الاستثنائية الفرنسية في الجزائر (1830-1882) ، مجلة "آفاق فكرية " ،جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس (الجزائر)،م10،ع02،أكتوبر 2022.
7. سعيد جلاوي، الصراع الثقافي بين الاستعمار والثورة الجزائرية، دراسة من خلال مجلة (الفكر) التونسية 1962/1955، السنة الثامنة، (اكتوبر 2013)، ع(14).
8. شيخي حبيب؛ شرقيهاجر،تجلياتالمقاومةفيالفنالتشكيليابانالاستدمارالفرنسيللجزائر،مجلةلغةكلام /مختباراللغةوالتواصل/جامعة غليزان(الجزائر)،م07،ع02مارس 2021 .
9. عبد الصدوق ابراهيم، الفكر الثوري في الفن التشكيلي الجزائري، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان.
10. عقيلة ضيف الله، سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر (1830-1954)، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، حوليات جامعة الجزائر 1998.

11. فتح الدين بن ازواو، السياسة الاستعمارية الفرنسية الدينية والثقافية في الجزائر (1830–1954) ، مجلة البحوث التاريخية، م 05،ع02(ديسمبر 2021) ، جامعة محمد بوضياف. المسيلة (الجزائر).
12. قجال نادية الوظائف الأساسية للرسم الاستشراقي قبيل وإبان الاستعمار الفرنسي للجزائر مجلة إنسانيات أكتوبر 2009
13. لا فطس نعيمة ؛براهيم أحمد ؛الفنون التطبيقية في منمنمات محمد تمام ،مجلة جماليات ،م07 ، ع02 (2020)
14. ليليا عثمان الطيب، صورة المرأة الجزائرية في لوحات الرسام الامريكي المستشرق فريديريك آرثر بريدجمان، برلين . المانيا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية الاقتصادية، ط01، مارس 2022.
15. محمد خالدي، المستشرقين وأثرهم الفكري والفني في الجزائر، مجلة الأثر، ع13، مارس 2012، جامعة تلمسان (الجزائر).
16. لوينسي ابراهيم، الادارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر والتأسيس للقضاء علي الاسلام وتنصير المجتمع في بدايات الاحتلال' الحوار المتوسطي، ع01،جامعة سيدي بلعباس.
17. مختار جلولي، دور الاعلام الوطني في الثورة التحريرية من التأسيس الى الممارسة (1954–1962)، مجلة العبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، م06،ع02، جوان 2023، جامعة ابن خلدون . تيارت .

المواقع الالكترونية:

https://x.com/ItisSART/status/1766888425750216723

http://chroniquesalgeriennes.unblog.fr/2015/11/30/peintres-/alg%C3%A9riens-7-Mohamed-

https://www.founoune.com/histoire-de-la-peinture-algerienne-les-artistes-dans-la-guerre-de-liberation-nationale-1955-1965-par-fadila-yahou/

ملخص:

لم يكن الاستعمار الفرنسي للجزائر مجرد احتلال عسكري بدأ عام 1830، بل كان نتيجة تخطيط مسبق ورغبة في السيطرة الثقافية والدينية والسياسية. استخدم الاستعمار شعارات مضللة كالتحديث والتحضر لفرض ثقافته ومحو الهوية الجزائرية في مختلف المجالات، من الدين والتعليم إلى الاقتصاد والمجتمع، مستهدفًا خاصة المرأة وصورة المجتمع العربي الإسلامي.

ورغم استغلال الفن كأداة استشراقية، لم يكن الفنانون الجزائريون بعيدين عن المقاومة، فقد عبّروا بأعمالهم عن واقع شعبهم ومعاناته، فكان فنهم صوتًا صادقًا في وجه القمع. لقد تحوّل الفن إلى وسيلة للنضال وحفظ الذاكرة، وأسهم بدور رمزي وثقافي مهم في مسيرة التحرير الوطني.

French colonialism in Algeria was not a military occupation; rather, it resulted from deliberate planning and a desire for cultural, religious, and political control. Colonialism used deceptive slogans such as modernization and civilization to impose its culture and destroy Algerian identity in various fields, from religion and education to the economy and society, particularly targeting women and the image of Arab-Islamic society. Despite using art as an Orientalist tool, Algerian artists were not far from resistance. Through their works, they expressed the reality and suffering of their people, and their art was an honest voice in the face of injustice. Art became a means of struggle and the preservation of memory, playing an important symbolic and cultural role in the process of national liberation.

الكلمات المفتاحية بالعربية :

الاستعمار الفرنسي ، السيطرة الثقافية، محو الهوية الجزائرية ،الفنانون الجزائريون .

الكلمات المفتاحية بالانجليزية :

French colonialism, cultural control, erasure of Algerian identity, Algerian artists

تجربة شخصية

تندرج هذه التجربة الشخصية في ايطار توظيف الفن التشكيلي في التذكير برموز المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي ضمن معرض جماعي للقسم بمناسبة احياء ذكرى انطلاق ثورة التحرير الوطنى بكلية الادب العربي والفنون قسم الفنون.

يتضمن العمل بورتريه للزعيم مصالي الحاج الاب الروحي للثورة الجزائرية في تركيب عمودي يشير الى شموخ الشخصية ونبلها وصمودها المعتمد على تقنية الكولاج والوان الاكرليك بحيث تدمج الصورة مع الخلفية واضافة العلم الوطنى واليات فنية تزاوج بين اللونين الاسود والابيض في تباين مع اللون الاحمر في الطربوش لون دم الشهداء. ولون يرمز الى ان للحرية الحمراء باب بكل يد مضجرة يدق .

يطغى على اللوحة اللونين الحياديين ودرجات من الرمادي مع الوان العلم الوطني نسعى من خلال هذه اللوحة الى التذكير برموز الثورة والى الاستمرار لحمل امانة الشهداء .